

مطبوعات



قطاع الثقافة

فضايا جائره.. ومحيره

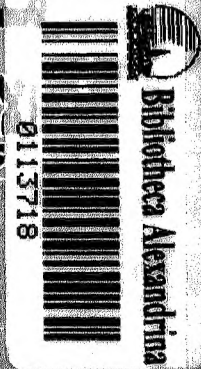
حسن دوح

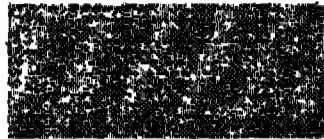
هل هو
حر أم عبد؟

من هو
إنسان؟

وما مصر
الإنسان؟

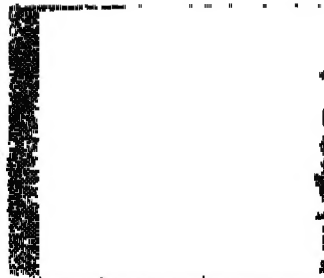
.. وما البعث و ما الحساب؟





رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سمعده





دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

مطبوعات
التيوم

قطاع الثقافة

التيوم

قضايا حائرة .. وثنية

من دوح

وهل هو
حرام عبد؟

من هو
الإنسان؟

وما مصير
الإنسان

رقم التسجيل

وما البعث وما الحساب؟

قضايا حائرة ..
ومحيرة

الغلاف والاحراج الفسى

مجدى حجازى



مقدمة

هذا الكتاب ينسب الفضل فيه لأخبار اليوم ، لأنها
 فتحت صدرها لي ، فأقبلت عليها بكل الحب ،
 وأودعت ما رزقني الله من القليل من العلم بين يديها ،
 فجملته وزينة ويسرته لجماهير قرائها ، ثم مضت بي
 السنون تغصف بذاكرتي ، فأنستني ما سبق أن
 كتبه في صحيفتي المخبية ، فلما هيا لي أخی وزميل الأستاذ نبيل
 أباطة فرصة الكتابة من قبل في « كتاب اليوم » ونشر لي كتيب
 « الاستغاثة » أطمعني هذا التشجيع أن أبحث عن موضوع جديد ،
 وغير تقليدي ، وفجأة وجدته أرجع بذاكرتي إلى أكثر من خمسة
 عشر سنة ، فهرعت إلى « أرشيفي الخاص » حيث كانت ترقد
 أخبار اليوم في سكون ، وهي تطوى بين جنباتها سلسلة من
 المقالات التي سجلتها في أشهر رمضان ، فوجدت فيها ضالتي ،

مقدمة

ووجدت أن من واجبي أن أتقدم بها من جديد إلى نفسى الصحيفة ، ولكن من خلال كتبها التى انتشرت على نطاق واسع فى الأرض ، ووجدت الاستجابة من القارئ على أمر الكتاب : الأستاذ إبراهيم سعدة رئيس مجلس الإدارة ، ورئيس تحرير أخبار اليوم ، والأستاذ نبيل أباطة .. فهذه بضاعتهم ردت إليهم وإلى أخبار اليوم .. وهذا الكتاب إن يكن فيه من جديد ، فإنه تناول موضوعات تشغل بال العامة والخاصة .. وأحسب أن كل موضوع تناوله هذا الكتاب يفتقر إلى العشرات من الكتب ، والعشرات بل والمئات من الكتاب .. ويكفى أن نذكر بعض عناوين الموضوعات المثيرة لتأكيد وجهة نظرنا..

- من هو الانسان
- -- وما ماضيه وما حاضره وما مستقبله ؟؟
- وهل هو حرام أم عبد !!
- الله والانسان !!
- الانسان بين الرحمة والعذاب .
- من خلق الانسان !!
- ومن بعث الانبياء .. وكيف تثبت نبوة محمد
- وكيف تم اللقاء بين محمد والمسيح فى يوم واحد !!
- وأخيراً تعالوا لنسعى إلى محمد ونتلقى عنه الحكمة ،
- والاجابة عن كل تساؤلاتنا
- هذه الموضوعات اخترت لها عنواناً ، ووضعته على هامة هذا الكتاب :

« قضايا جائرة ومحيرة » تبحث عن إجابات شافية

حسن دوح

من هو الإنسان؟

شخصية الإنسان شخصية محيرة للإنسان نفسه ، وقد خضعت هذه الشخصية لدراسات نفسية هائلة ، كما خضعت لدراسات طبيعية وكيميائية ، ومع هذا لم يتوصل الإنسان لمعرفة هذه الشخصية . وكان من نتيجة هذا العجز في تفسير شخصية الإنسان ، ظهور مذاهب وأفكار طغنت الإنسان في الصميم وأهدرت كرامته الإنسانية .. منها أنه نسب للقردة . وكان من نتيجة هذا الشطط في التفكير ، انهيار القيم والمثل الإنسانية ، والاستسلام للبهيمية . وفي هذه الدراسة نحاول أن نستعرض الأفكار المتعارضة التي حاولت الكشف عن حقيقة الإنسان .. كما سنحاول طرح شخصية الإنسان على بساط الدين ليعرفنا بما غمض من شخص الإنسان .



من هو الإنسان ؟

محاولة معرفة الإنسان عن طريق المعامل..

كرس .. العالم الفرنسى « أليكس كاريل » حياته لدراسة الإنسان ، درس فى المعمل ودرس فى الكتب وعاش معه فى دروب الحياة ، ثم أمسك قلمه ليسجل كتابا اختار له العنوان « الإنسان ذلك المجهول » ووصده بمقدمة صادقة ، قال فيها عن نفسه « لست بلسوفا ، ولكنى رجل علم فقط ، قضيت الشطر الأكبر من حياتى بالمعمل ، أدرس الكائنات الحية ، والشطر الآخر فى العالم الفسيح اقرب بنى الإنسان وأحاول أن أفهمهم .. »

ثم سجل نتائج دراسته والآخرين قائلاً : « إننا لا نفهم إنسان ككل .. إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة ، وحتى ذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا ، فكل واحد منا مكون من موكب من

من هو الإنسان

الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة ، وواقع الأمر أن جهلنا مطبق فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب ، لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية مازالت غير معروفة ..

بهذه الصراحة بدأ كاريل كتابه ، وبنفس الصراحة انتهى إلى أنه — وهو الحاصل على جائزة نوبل — عاجز عن معرفة حقيقة الإنسان ..

ثم رفع الرجل يده مسلماً بأيّ العقل عاجز عن فهم حقيقة الحياة .

لقد كنت أتمنى أن يرشدنا هذا العالم الفذ إلى وسيلة أخرى لفهم هذا اللغز الذي حيره .. وعجز عن معرفته .. ولكنه لم يفعل ، ومما لا شك فيه أن هذا العالم معذور في موقفه ، لأنه وبعد دراسات مضنية عجز عن الوصول إلى الحقيقة ، فواجه بها نفسه ثم واجه بها الناس ..

ولم يفعل ما فعله غيره من السفسطائيين الذين أضلوا البشرية ضلالاً بعيداً ، وأوقعوها في حرج ، وكبدوها متاعب كثيرة .. إنه لم يدع ما ادعاه « داروين » الذي تصدى لأخطر قضية وهي قضية خلق الإنسان ، وادعى أنه توصل إليها فارتكب حماقة في حق نفسه الإنسانية كلها ، ولنستمع لخرافته الكبرى عن منشأ الإنسان : « كانت النشأة الأولى من الأحياء المائية ، ومن هذه الأحياء المائية نشأت الأحياء البرمائية ، ومنها نشأت الأحياء البرية ، ومن الحيوانات البرية نشأ الإنسان الذي لا يفصله عن القرد سوى حلقة واحدة ..

ويتركنا داروين ندور في هذه الحلقة ، ونخطب بداخلها ، ونفتش عن آثار الجسد الكبيرة في أجسادنا وفي أنفسنا وفي

من هو الإنسان

أرواحنا.. ويجد « داروين » من أمثاله من يعزف على قيثارته ، ويرقص رقص القرد ، ويستسلم لحيوانيته ، فينغمس في شهوات نفسه ، ويستسلم لغرائزه .. لأنه ابن لقرد ، والقرد حيوان .. وبالتالي فإنه حيوان مثله .

وعلى طريق داروين مضى البعض ليقولوا، انه مادام القرد قد ارتقى إلى مرتبة الانسانية، فإنه سيظهر إنسان « سوبرمان » أرقى درجة من انسان اليوم. ومضت الخرافات إلى أن قالوا والعياذ بالله أن الله سيخرج من هذا الإنسان السوبر مان وسقط داروين وخرافاته.

هذا التخريف رفضه العلم، لأنه جار على الإنسان ونال منه، ومن تاريخه ومن مستقبله كذلك.. فمثلا.. قام أحد العلماء بأبحاث عن عقل الإنسان وعقل القرد، واختار أذكي القرد هي الغوريلا ، واختار إنسانا عاديا في نصف وزن الغوريلا ، وعمل موازنة بين عقل القرد الكبير .. فوجد أن وزن مخ الغوريلا لا يزيد على ٣٦٠ جراما بينما يصل وزن مخ الإنسان العادى إلى ١٣٦٠ جراما .. فأى علاقة بين هذا الحيوان وبين الإنسان ؟

وقام عالم الطبيعة «شرنجتون» بدراسة تفصيلية على الإنسان خرج منها بحقيقة وهى أن الإنسان «طاقة وعقل» .. قال في حيثيات حكمه «لقد أصبح بقدرة العلم الطبيعى أن يفسر الجيد باعتبارها تنفسا وحركة ، ونموا وتوالدا ، وتحليلا للأغذية الانسجة .. الخ ، ذلك لأنه لا يوجد شىء من هذه الظواهر لا يقع تحت طائلة العلم ، إنها كيميائية وطبيعية ، ولكن هذا الشىء الآخر المصاحب للحياة وهو الفكر ، فإنه يهرب من دائرة العلم الطبيعى ، ويظل بعيدا عنه ، حتى لقد بدأ العلم الطبيعى يتجاهله باعتباره شيئا يخرج عن دائرة بصره ، وبهذا نشأ فارق أساسى بين الحياة والعقل ، فالحياة موضوع للكيمياء والطبيعة ، أما العقل فيهرب

من هو الإنسان

منها ، بحيث يمكن تلخيص الإنسان في أنه يتألف من «طاقة وعقل».

ومع هذا التصدى للدفاع عن الإنسان في مواجهة النزعة الحيوانية التي يريدون فرضها عليه .. فإنهم عجزوا عن وضع تعريف أمين له.

وكشف السر الغامض :

لقد كشف هذا السر الغامض عن طريق خالق الإنسان ، فهو الذى عرف الإنسان بنفسه ، وكشف عن أسرارهِ ، حدد مكانته من المخلوقات الأخرى ، كما بين له الطريق الذى سيسلكه في حياته .. وعرفه بنهايته ثم بيعثه من جديد ، ثم بحياته اللانهائية .. ومع هذا فإنه حبس عنه الكثير من الحقائق العامة وحقائق نفسه ، وخبايا مستقبله .. وطلب منه أن يسلم بما خفى عنه .. بل جعله شرطاً لإيمانه .

لقد استأثر الله بعلم الغيب وحرّم الإنسان منه .. «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين».

ثم إنه أمر رسله بتبليغ الناس بأن الله وحده هو الذى يعلم الغيب «قل لا يعلم الغيب إلا الله» .. كما أخفى نفسه عن نظرنا المجرد «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» .

وطلب من الناس أن يؤمنوا بالغيبيات التى استأثر بعلمها «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون» . وطلب من رسوله أن يبلغ الناس أنه هو نفسه لا يعلم الغيب «قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء» .. وقال فى موضع آخر «ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بى ولا بكم» .

من هو الإنسان

وأرسى القاعدة الكبيرة وهى أن العلم كله بيد الله «وسع ربى كل شىء علما».

وفى نفس الوقت سمح بقدر ضعيف من العلم لهذا الإنسان «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

هذا الحكم الصريح حدد قدرة الإنسان فى دائرة محدودة ، ومهما اجتهد ، ومهما فعل فإنه سيظل قاصرا عن ادراك معظم الحقائق .. «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» .. فمثلا سيظل الإنسان جاهلا بأمور تمسه شخصا ، كجهله بيوم ولادته ، وجهله برزقه ، وبعمره ، وبنهايتيه ، وببعثه ، وبنشوره .. «وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت» .. «وسيظل كذلك جاهلا بروحه «قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» ..

فالله سيظل هو العالم الوحيد بكل أسرار الحياة وبالتالي بكل أسرار الناس .. «لا يعلم الغيب إلا الله»..

والله وحده الذى سيمنح الإنسان قدرا من أسرارهِ ومن علمهِ لن يتجاوزه مهما كان عقله ومهما كانت شخصيته ، فقد قال لرسوله : «ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا».

فإذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا أن نسلم بأننا لن نبلغ غايات العلم بهذه الحقيقة .. وستكون قناعتنا بالقدر الذى سيمنحنا الله إياه هو سر سعادتنا .. وسر راحة بالنا .. ولا نعذب أنفسنا ولا نعذب البشرية معنا كما فعل داروين وأمثاله.

فماذا قال الله عنا ..

وكيف عرفنا بأنفسنا ..

من هو الإنسان

لقد عرفنا الله بالإنسان معرفة تفصيلية . عرفنا بنشأته وبأصله ، وبحياته ونهايته ، ثم ببعثه وبحياته الثانية.

لقد عرفنا بالجانب المادى فيه بقوله : «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين».

هذا الوصف لخلق الإنسان يمثل الجانب الأول فيه في خلق الإنسان الأول ، الذى خلق من طين .. ثم انتقل إلى المرحلة الثانية وهو التناسل نتيجة الإزدواجية.

ومع هذا فإن الإنسان يذكر دائما بطينيته ، وأنه سيعيش بهذه الطينية .. وأنه سينتهى إليها .. «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى».

ويذكر الرسول عليه الصلاة والسلام الإنسان بهذا النسب فيقول «كلكم لآدم وآدم من تراب».

ثم يذكره بأنه ينتمى لأسرة آدم وليس لغيره «ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء».

ثم يذكره بأن مشكلة قامت في موطن الإنسان الأول ، قضى الله فيها بطرد الإنسان الأول من الجنة ونزوله للأرض .

ثم يذكره بالنزاع الذى نشأ بين الأخوين قابيل وهابيل ، والذى انتهى بمصرع احدهما.

ثم يشرح له قصص الرسل والأنبياء ، ويطلب منه اتباعهم ، ويشرح له قصة الشياطين بزعامة ابليس ويحذره منهم ومن اتباعهم.

هذه الملحمة التاريخية التى تناولت خلق الإنسان الأول ،

من هو الإنسان

وتناولت مشوار الحياة تمثل جزءا رئيسيا في معرفة شخصية الإنسان ، وتكشف له عن جوهره .
ومن هنا يبدأ تفكير الإنسان ..
— يبدأ من مسلمات ليس له فيها الخيرة .. لقد نشأ من طين .
— وتناسل من إنسان .
— وكان في الجنة .
— ونزل إلى الأرض .
— هو مركب من عناصر مادية معينة .
— وأنه يستمتع بالروح وبالعقل من دون الكائنات .
— وأنه سيعيش في الأرض وسيموت فيها وسيبعث منها .
— وأنه سيدخل جنة أو ناراً .
بعد أن يسلم بهذه الحقائق له أن يبحث عن نفسه ، ويغوص في أعماقها كيف يشاء .
«وفي أنفسكم أفلا تبصرون».

أوصاف الإنسان

ولقد وصف الله الإنسان ، وصفه ظاهرا وباطنا .. وكشف له عن هذه الأوصاف في آيات كثيرة من القرآن .. وصف قوامه بقوله «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» . ووصف صورته «وصوركم فأحسن صوركم» .
ووصف بعض أعضاء جسده «ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين» .
ثم وصفه أوصافا نفسية .. وأخرى خلقية .. «ولقد كرّمنا بني آدم» .. «ونفس وماسواها فآلهمها فجورها وتقواها» .. «إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا» «خلق الإنسان من عجل» .. «وخلق الإنسان ضعيفا» ..

من هو الإنسان

إن الإنسان خلق هلوفا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا.. «قتل الإنسان ما أكفره».. وكان الإنسان أكثر شيء جدلا.. «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين»..

هذه الصفات بعضها يرفع من قدر الإنسان وبعضها ينزل به إلى أسفل سافلين، وهى صفات تلحق العمل الصالح أو العمل الفاسد..

ومن خلال هذه الأوصاف يستطيع الإنسان أن يقول إننى قد عرفت القدر الذى أرادته الله لى لأتعرف به إلى نفسى.. وبهذا القدر سأعمل فى الأرض مسترشدا بعلم الله ونوره..
وهناك قضية هامة لابد أن يعرف الإنسان بعض جوانبها حتى تستكمل صورته أمام نفسه.. فالإنسان ليس فردا قائما بذاته ولكنه يعيش فى كون يتألف من سماء تظله، وأرض تقله، وبحار وأنهار، ورطب ويابس، ورياح وعواصف، وأمم من أمثاله من الطير والحيوانات.. كل هذه الكائنات تؤثر فى الإنسان وتتأثر به.. ولقد أثر الإنسان على سائر هذه الكائنات، بل إنه سخرها له لتكون فى خدمته..

— «ولقد كرّمنا بنى آدم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»..

— «ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة»..

— «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بأمره، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون»..

— «وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون»..

من هو الإنسان

— «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون».

وبعد أن عدد الكائنات المسخرة في خدمة الإنسان، أعلمه بأنه لا يعرف منها إلا القدر اليسير وما خفى كان أعظم، «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله غفور رحيم»
ثم بين علاقته بعالم الملائكة ودنيا الشياطين..
فجعل الملائكة حراسا وحفظة عليه، ومسجلين لكل أعماله وتصرفاته. «وإن عليكم لحافظين، كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون».

وحذره من خطورة الشياطين، وكشف عن تأمرهم.. «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا».

هذه هي دنيا الإنسان الخارجية، وهي دنيا تتأثر وتؤثر في الإنسان، فمن أراد أن يتعرف إلى شخصية الإنسان فعليه أن يدرس نشأته وتاريخه، وخصائصه، وعقله ونفسه، ثم يدرس العالم المحيط به.

فهل يستطيع أحد أن يقوم بهذه الدراسة!!

الرد السريع لا..

فماذا يفعل الدارس..

يبدأ بالتسليم بعجزه عن الإحاطة بعلم الإنسان، تاركا الأمر لخالفه، ثم يعمل فكره بعد ذلك باذلا قصارى جهده للوصول إلى حقيقة نفسه، رافعا راية عالية تقول:
«وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

الإنسان بين حاضره وماضيه

٦

سؤال يشغل بال الكثير من الناس.

هل إنسان القرن العشرين مهياً قلبياً وذهنيا
ليكون متديناً؟ ولو أردنا أن نفصح أكثر. وبسطنا
السؤال بصورة محددة وصريحة.. فهل إنسان
القرن العشرين الذى طار فى السماء حتى ركب
ظهر القمر، وغاص فى أعماق البحار حتى أخرج
منها بترولاً ملتهباً.. وادعى أنه زرع أطفالاً فى
الأنابيب، وأنطق التليفزيون وركب عقلاً حديدياً
للكمبيوتر.. فهل يسلم هذا الإنسان بالدين
ويستسلم لله رب العالمين، ويضع هامته على
الأرض ساجد لله شكراً؟!

■ قضايا حائرة .. ومحيرة ■



الإنسان بين حاضره وماضيه

هذا السؤال لن أستخدمه إلا بالقرآن،
وعلى لسان حامل القرآن.

قبل أن أجيب على هذا السؤال الكبير أود أن
أتساءل: هل أصيبت العقيدة بالبلل لتقادم زمانها؟

الجواب نجده في العقيدة نفسها، فالقرآن وهو

يعرفنا بعقيدتنا، رجع بنا إلى خلقنا الأول، فمنح الأب

الأول صفة النبوة، ثم قص علينا معظم قصص رواد هذه العقيدة

من رسل أو أنبياء أو حكماء.. «شرع لكم من الدين ما وصى به

نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى

أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه». ولقد جاء هؤلاء الرسل والأنبياء

على فترات متباعدة. ثم أودعها في قلب آخرهم: محمد عليه الصلاة

والسلام، وذكره بمقامه بين إخوانه فقال له «وما محمد إلا رسول

الإنسان بين حاضره وماضيه

قد خلت من قبله الرسل». ثم ذكرنا بأن نهاية محمد كبشر بالموت لا تعنى نهاية رسالته فقال «أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا...» وهذه الآية نزلت على الرسول نفسه لينقلها للناس من بعده عن طريق القرآن... فالدين موجود بين أيدينا مترابط الحلقات، متصل الأسباب، بدأنا الله به من عهد آدم عليه السلام إلى آخر زماننا، وبالتالي فإن القدم والبلى لن يصيبه أبداً وإن كان الدين لا يصيبه البلى فهل بوسعه أن يوائم ما بين مبادئه العامة ومقتضيات عصر كل شيء فيه صار جديداً... بمعنى أن نقول هل نطلب من إنسان القرن العشرين أن يرتد بفكره وبسلوكه إلى آلاف السنين فيصلى ويصوم، ويحج، ويمتنع عن أكل ما حرم الله، ويلتزم بالدين سلوكاً ومنهجاً، وتشريعاً؟!

هناك أسئلة تسبق الإجابة على هذا السؤال أولها... هل المتغيرات المادية الزهية يمكن أن تقتحم فطرة الإنسان فتلغى هذه الفطرة.. وتحل محلها فطرة جديدة بحيث يتحول الإنسان إلى كيان جديد وصيغة جديدة؟!

وثانيها هل من مقتضى هذا التغيير نسخ كل العقائد والأفكار والمثاليات والأخلاقيات التي كان يعمل بها من قبل؟.
الإنسان هو الإنسان.

الإنسان مخلوق بكيانه الروحي والمادى.. فالروح وهى التى أسبغت عليه وصف الإنسان، وأمدته بالحياة الحقة، سرها تفرد به خالق الإنسان، ولم يأذن للعقل البشرى على الرغم من قدرته الهائلة بالتعرف على هذا السر «قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» فالكيان الروحي للإنسان، والذي يمدّه بالفطرة ويزوده بمقومات الإنسانية فيها لم ولن يجد عليها جديداً. ويبقى بعد ذلك الكيان الجسدى وهو الذى يجمع كافة الأعضاء التى تم

الإنسان بين حاضره وماضيه

الإنسان بالحركة، هذا الكيان لم ولن يتغير أبداً لأنه نتاج الثنائية بين ذكر وأنثى.

وهذا النتاج خرجت منه كافة المخلوقات الحية ، والإنسان بينها وعلى الرغم من تمييز الإنسان بالعقل الراجح واللسان المبين، إلا أن بعضاً من صفاته لم يحرم منها الحيوان والطير والزواحف، فالببغاء ينطق بلسان مبين وإن كان لا يفهم ما يقوله، والكلاب والذئاب لها ذكاء خارق، والنحل لديه قدرة التنظيم في بناء كيان دولة قد لا يتوصل إلى مثلها الإنسان... فالقدرات الجسدية التي أوتيتها الإنسان معظمها مشتركة ما بينه وبين الكائنات الحية.. حتى الأخلاق التي يعرفها الإنسان.. والتي قد ينحرف عن معظمها على الرغم من أهميتها في التعايش السلمي مع الآخرين، نجد الحيوانات تستمتع بها ولا تملك التفریط فيها.

وكلنا نعرف وفاء الكلاب، وصبر الجمال، وتعاون النمل، والتعاطف ما بين الأمومة والطفولة في جميع الحيوانات... فالإنسان يشارك هذه الحيوانات في معظم تكوينها الجسدى وإن كان قد تفرد بالعقل المبدع إلا أنه وللأسف الشديد استعمل هذا العقل في التخريب والقتل والجور، والحروب التي لا تتوقف في عصرنا، تقف شاهداً على أن الإنسان قد أفرط في استعمال عقله، ولم يقبده بالدين أو الخلق أو الإحساس بالمسؤولية نحو الآخرين.

وفاء الكلاب وصبر الجمال

وحتى الغرائز التي منح الله بها الإنسان والحيوان، اكتفى الحيوان فيها بأداء وظيفة التناسل، أما الإنسان فقد أفرط فيها حتى صار عبداً مسخراً لها، وهو الآن مشغول بإلغاء أهم وظيفة الغريزة وهى التناسل لأنه يخشى مشاركة غيره في الطعام والشراب!! ومع هذا كله فقد كرم الله الإنسان وعزز مكانته بين سائر

الإنسان بين حاضره وماضيه

مخلوقاتة فقال «ولقد كرمنا بنى آدم».

ثم سخر له كافة المخلوقات من جماد وحيوان، سخر له الشمس والقمر والرياح وسخر له الحيوانات ليأكل منها ويركب ظهرها، ثم نصبه في مكان عال من المخلوقات غير المرئية والمقربة جدا من الله وهي الملائكة حين أمرها أن تسجد إجلالا وتكريما للأب الكبير «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس..» بل عاقب هذا العاصي بحرمانه من الرحمة والجنة، مع الموافقة على طلبه بالبقاء بين الناس، وهو قائم الآن بدور تخريبي رهيب، «قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين».

الإنسان سيد الموقف

هذا الإنسان لم ولن يتغير.. روحه هي روحه، وجسده هو جسده وعقله.. هو عقله.. باستثناء أنه في بعض بقاع الأرض استثار عقله، فنشط وزاد انتاجه، ولكنه قصر عن الوصول إلى النهاية ولن يصل إليها «وسع ربى كل شيء علما»، وما أوتيت من العلم إلا قليلا» ويروى أن الرسول قال «لا يزال العبد يقول ما كذا ما كذا حتى يقول خلق الله الخلق فمن خلق الله» فإذا جاءنا من ينكر علينا حقيقة من هذه الحقائق الثابتة، مثل سر الروح، أو التركيب الجسدى للإنسان - وليس معه برهان ولن يكون فإن من حقنا أن نرد عليه قوله... يبقى السؤال قائما هل بوسع المتغيرات المادية الجبارة أن تغير من فطرة الإنسان؟!

المتغيرات المادية ليست وليدة اليوم، وبالتالي ليست وليدة الإنسان المعاصر، إنها وليدة جهود إنسانية مضنية شارك فيها إنسان الغابة زميله الذى صعد إلى القمر، كل منها أدى دورا، بل لعل إنسان الغابة صا حب فضل على ابنه الذى صعد إلى القمر، وكلاهما لم يخلق جديدا ولكنهما استفادا من الامكانيات المادية

الإنسان بين حاضره وماضيه

التي أوجدها الله في الأرض والماء والهواء والسماء.. وإنسان الأمس كان يأكل ويشرب ويتناسل ويسالم ويحارب وهذه الوظائف يمارسها الإنسان الجديد. وإن كان - وللأسف الشديد - يمارسها بجشع أكبر وغلظة أشد. إنسان الأمس كان يقتل بالأحاد، مستعينا بالسهام والحرب، أما إنسان اليوم فيقتل الملايين بالقنابل الذرية. فماذا تغير في الإنسان..

إنه هو هو.. بكيانه الروحي والمادى، وكل ما استجد عليه من أسباب مادية لم تغير من جوهره ثم أن المتغيرات المادية أضعف من الإنسان بكثير لأنها صدرت عنه فهو النذى ابتكرها وأنشأها فكيف ينتصر الفرع على الأصل..

لقد صنع الإنسان الطائرة ثم طار بها في الفضاء فهل ينسب إلى الطائرة أم تنسب الطائرة إلى الإنسان، والإنسان صنع الراديو والتليفزيون والسينما، وهي كلها أدوات خرساء ولولا الإنسان ما نطق وما تحركت فمن هو سيد الموقف: الشاشة الصماء، وصندوق الخشب أم الإنسان الذي يبيت من خلالها؟!

إن كل ما استجد في الأرض هو من صنع يد الإنسان توارثه من أخيه الإنسان القديم، وحتى لا نصف الإنسان الجديد بأنه شخصية خلاقية في حين نقول أن إنسان الأمس لم يكن بهذا المستوى من الخلق والإبداع وبالتالي فإن إنكار إنسان اليوم للدين وللعبادة وتبرمه يعتبر عملاً حضارياً!! هذا الكلام مردود بدليل أن إنسان الأمس قد أثبت قدرات هائلة في الخلق والإبداع.. فبناء الأهرامات وبناء السور العظيم، وبناء بابل. وعظماء الفلسفة مثل كونفوشيوس، وبوذا، وأرسطو، وأفلاطون، هؤلاء لاشك كانوا بناء حضارة متكاملة..

وكان منهم المؤمن بالديانات المتفاني فيها، والكافر بها المتمرد

الإنسان بين حاضره وماضيه

عليها.. كحال أبناء عصرنا الذين أطلقوا الصواريخ وصعدوا إلى القمر واخترعوا الكمبيوتر، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم الزائف البصر بين الإيمان والكفر. واسمح لي أن أذكر أمثلة عن تفاهة عقلية أبناء عصرنا ونقارنها بتفاهة عقلية إنسان الأمس إنسان عصرنا صنع تماثيل ومقابر لعظماء عصره - كما يسميهم - وهو يستعبد نفسه وفكره لأصحاب التماثيل والقبور.. وأحدث الأمثلة تماثيل ومقابر ماركس ولينين.. هذا ما فعله إنسان العصر وهو نفسه ما فعله إنسان الأمس يوم أن نجت صخوراً من الجبال وصنع منها تماثيل. ثم مثل أمامها صاغراً..

نخلص من هذا إلى أن المتغيرات المادية لم ولن تخلع الإنسان من طبيعته لأنها من خلق الإنسان وليس الإنسان من خلقها..

الماديات والعقائد : القول بأن المتغيرات المادية يمكن أن تلغى العقائد الدينية وبالتالي تلغى العبادات من صلاة وصوم وحج..

هذا القول فيه جور كبير على الواقع.. لأن المتغيرات المادية الجديدة نشأت لخدمة عقيدة من العقائد سواء كانت عقيدة وطنية أو عقيدة إنسانية أو عقيدة مذهبية وألمانيا بنت حضارتها المعاصرة التثبت أن الجنس الجرماني هو سيد الأجناس، واليهود يعملون ويبتكرون، ويغيرون على الأمم لخدمة العنصرية السامية وروسيا تكدر وتغير وتقتل لتخدم فكر ماركس ولينين.. ولكل هذه الدول، ولكل هذه المذاهب شعارات وطقوس، يقديسها الناس ويفدونها بالمال والأرواح فهل إذا قلنا أن راكب الصاروخ يجب أن يعلن كفره بالله وإيمانه بالكرملين والبيت الأبيض حتى ينجح في مهمته هل يقبل منا هذا القول!!

إن قبول هذا القول فيه جور وظلم وتحقير للإنسان، وفيه ظلم

الإنسان بين حاضره وماضيه

للعقيدة.. لأن العقيدة تدفع بالإنسان ليكتشف غوامض الأمور ليزيد إيماننا وثقة بالله، ولقد كان للإنسانية في سيدنا ابراهيم قدوة حسنة حين أخذ يتساءل عن ظواهر الكون ليزداد يقينا بالله.. وكان الرسول يوصي المؤمن بالتأمل والتفكير ومحاولة البحث عن الحقيقة قال لأصحابه «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا».

ولقد ثبت لجميع المخترعين والباحثين أنهم لابد أن يبدأوا بحثهم من مخلوق محسوس أو غير محسوس، ثم يحاولوا تشكيل هذا المخلوق وتطويره ليؤدي الدور المطلوب منه.. فالأرض مخلوقة، والماء مخلوق والبذرة مخلوقة كلها مخلوقة ابتداء، فإذا ما بذر الإنسان البذرة ثم رواها بالماء فهل يعد هذا الإنسان خالقا لهذه الشجرة!! والصاروخ الذى حمل إنسانا إلى القمر، معدن الصاروخ مخلوق أصلا والعناصر التى أدخلت فيه مخلوقة، والإنسان الذى ركبه مخلوق أيضا والقمر مخلوق، كلها مخلوقات فإذا تهيأ لإنسان أن يستخدم هذه المخلوقات ليصل بها إلى القمر فهل هذا يدعو للكفر أم للإيمان؟

إن إقامة سور بين الدين والنمو الحضارى يمثل تآمرا ضد الدين وضد الحضارة وضد الإنسان... والأفضل أن نقول أن إنسان اليوم هو إنسان الأمس، وأن المتغيرات المادية لم ولن تغير من طبيعة الإنسان.. كما أن المتغيرات المادية مهما بلغ شأنها فإنها لم ولن تغير من العقيدة الدينية لأنها هى السيد المنشئ للنفس الإنسانية.

ولقد آن الأوان لنقول للإنسان لا تقل ما قاله قارون «إنما أوتيته على علم عندى» ولكن قل «ربى زدنى علما».. وصدق الله العظيم «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

الإنسان حر أم عبد؟



مسكين إنسان عصرنا .. مسكين لأنه
مثقل بقيود وأغلال لا تعد ولا تحصى.. العالم كله
فرض عليه أن يسكن داخل جدر دولة من الدول،
والدولة تسكنه داخل إقليم، والإقليم يضطره أن
يعيش في مدينة أو قرية، وفي المدينة يعتقل داخل
بيت.. وبعد هذا كله يجلس داخل فكر محدود أو
مذهب معين.

فهل بعد هذا، الإنسان حر أم عبد؟؟

■ قضايا حائرة .. ومحيرة ■



الإنسان حر أم عبد .. ؟

فما هي حقيقة الإنسان ؟؟ هذا التساؤل يحتاج
لمجيب.. فمن يستطيع أن يتصدى للإجابة ؟؟ -
الذي يتصدى للإجابة لا بد أن يكون على علم كامل
بحقيقة الإنسان وجوهره.. فهل نكون منصفين
للقضية المعروضة أمامنا؟؟.. وهي قضية الإنسان..
بمعنى : هل نقبل من الإنسان أن يصدر حكماً
لصالح الإنسان أو حكماً ضد مصلحته؟
إن إعطاء الإنسان هذا الحق فيه جور على العدالة.. لأن الإنسان
لا يحيط علماً بكل شخصية الإنسان.. ولا يعرف من أخبار نفسه
إلا النزر اليسير، فهو يجهل تاريخه.. يجهل أصله، ويجهل خلقه..
ويجهل حاضره ويجهل كل الجهد مستقبله.. فهل يستطيع جاهل
أن يصدر حكماً في قضية لا يلم بكل جوانبها؟

الإنسان حر أم عبد .. ؟

وإذا أعطينا الإنسان هذا الحق نكون كمن نصب نفسه على منصة القضاء ليحكم في قضية لا يعرف شيئاً عن وقائعها، ولم يسمع شهودها..

وهو جاهل كل الجاهل بالقانون الذى سيصدر بمقتضاه الحكم.. فتنصيب الإنسان حكماً في قضية حرية الإنسان أو عبوديته مرفوض شكلاً وموضوعاً، كما يقول رجال القانون..

فإلى من نلجأ لنستصدر منه حكماً في هذه القضية؟؟ الذى نلجأ إليه لابد أن يكون على علم كامل بخلق الإنسان، وخلق المكان والزمان الذى يعيش فيه الإنسان، وعلى علم بماضى وحاضر ومستقبل الإنسان.

فمن يكون هو ؟؟!

خالق الإنسان وحده هو المحيط علماً بخلق الإنسان وخلق دنيا الإنسان، وخلق آخرته.. فإذا أردنا أن نجيب على مسألة تتعلق بالإنسان فعلياً أن نلتمس الجواب عند «عالم الغيب والشهادة».. الجواب عند الله وحده.. وليس عند غيره.. «وسع ربى كل شيء علماً».

حقيقة الإنسان :

لقد أعلن الله تعالى بأنه هو الذى خلقنا.. خلقنا جسداً، ثم خلق الروح المهيمنة على هذا الجسد.

ثم سواه ونفخ فيه من روحه، ثم استأثر وحده بعلم هذه الروح ، وحجبها نهائياً من الإنسان، «قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً».

ثم أخفى عنه مستقبله فى الدنيا « وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً » كما أخفى عنه موعد وكيفية نهايته مع الحياة: «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً».

الإنسان حر .. أم عبد .. ؟

ثم أخفى عنه حقيقة خلقه له وكيفيته: «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون».

ثم أعلمه أنه ملازم له طوال حياته، وأنه قريب جدا جدا منه وأنه يعلم عن حقائق نفسه وهمساتها كل صغير وكل كبير من أمره. «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد».

ثم أعلمه بالموطن الذي كتب عليه أن يسكنه فيه، وعن الرزق الذي قدره له: «وفي السماء رزقكم وما توعدون»... «وجعلنا من الماء كل شيء حي».

ثم قال له عن سكنائه: «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين».

ثم أعلنه بنهايته ونهاية رزقه، ونهاية الأرض الذي يعيش عليها: «وإلى ربك المنتهى».

ثم أعلمه بالحياة الجديدة التي سيحيها بعد أن يستوفي أجله في الأرض: «ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون».

فالأذى خلق الإنسان، والأذى يعرف كل أمره، والأذى أسكنه الأرض، والأذى ضمن له الرزق، والأذى كتب له الحياة بقدر، وكتب نهايته، ثم يقوم ببعثه ثم حسابه ثم تقرير مصيره.. هذا الخالق وحده الذي بمقدوره أن يدلنا على حقيقة الإنسان أهو عبد أم حر؟

الإنسان عبد :

لقد اختار الله من بين خلقه صفوة من أعقل وأطهر الناس، وحملهم كتباً ليبلغوها إلى أخوانهم البشر، وطبيعى أن يتولى هؤلاء الرسل الصدارة والقيادة والأمانة، فكيف وصفهم الله؟ ولقد وصفهم الله بالعباد.. قال عن أبيهم إبراهيم والذي اختاره خليلاً له: «إنه من عبادنا المؤمنين».

الإنسان حر أم عبد...؟

وأمر محمد أن يعلن عبوديته لله: «إنما أمرت أن أعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها، وله كل شيء، وأمرت أن أكون من المسلمين».
فإذا كان الرسل وهم السادة والرواد، والمعلمون، والقادة
عباد الله فهل يعز على الناس أن يكونوا عبيدا؟
وهؤلاء الرسل كرمهم ربهم تكريما لا حدود له في دنياهم،
ورفع ذكرهم، وأعطى مكانتهم، ثم بشرهم بسعادة خالدة دائمة في
الآخرة.. ومع هذا ظلوا عبادا مخلصين كل الإخلاص لخالقهم..
وهناك عباد آخرون من المؤمنين الصادقين المقربين بعبوديتهم
وربوبية الله.. هؤلاء رفع الله قدرهم ومكانتهم واعتبرهم من صفوة
الناس لأنهم أقروا بالعبودية لله.. «وعباد الرحمن الذين يمشون
على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قلوا سلا..»
حتى الملائكة وهم عالم يتصف بالظهر والصفاء والقرب من
الله تعالى، وصفهم الله بأنهم عباد شأنهم شأن البشر، قال:
«وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا»..
إذا كان الله قد وُصف بصفوة خلقه وأحبهم إليه بأنهم عباد..
فهل يعقل أن ينال الإنسان العادي درجة أعلى من هذه الدرجة؟..
المنطق يقول بغير ذلك.. وهذا ما سجله القرآن الكريم «وما خلقت
الجن والإنس إلا ليعبدون»..
وقال: «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت»..
فإن الله تعالى وُصف الإنسان بأنه من عباده، ولكنه لم يجعل
عبادته تحقيرا له أو امتهانا لقبوله بل على العكس من ذلك فقد
أعلن تكريم هؤلاء العباد «ولقد كرّمنا نبي آدم»..
ووصف العباد المؤمنين بصفاتهم أنهم علماء، وأنهم على خلق
قويم وأنهم أصحاب عزة وكرامة..

الإنسان حر أم عبد..؟

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً، إنها ساءت مستقراً ومقاماً، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً...».

فالعبودية لله تكريم وإعزاز، وتزكية للإنسان.

الإنسان حر:

والله الذي أسبغ صفة العبودية على الإنسان منحه، حرية كاملة. وكان أروع ما أتى هذه المنحة، منحة الحرية، إذا جعل عبودية الإنسان لله فقط.. فهو مثلاً ليس عبداً لرسول أو لنبي، على الرغم من أن هؤلاء من أقرب الخلق إلى الله وأعزهم عليه، ومع هذا فهم ليسوا أرباباً للناس.

وقد سجل القرآن هذا المعنى على لسان جميع الرسل والأنبياء. فيوجه الله السؤال لسيدنا المسيح عليه السلام: «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق..».

ثم يقول: «ما قلت لهم إلا ما أمرتني به.. أن اعبدوا الله ربي وربكم...».

ولذلك يكون الله قد حرر الناس من كل ضروب العبادات، إلا عبادته هو..

فالإنسان ليس عبداً لرسول أو نبي، ولا لإنسان أياً كان قدر هذا الإنسان، وليس عبداً للطبيعة بكل قدراتها، وليس عبداً لمذهب أو فكر أو عقيدة أياً كانت هذه العقيدة، ولم يدع الله سبحانه

الإنسان حر أم عبد ..؟

وتعالى للإنسان أن يحدد إطار حريته لنفسه.. بل رسم له معالمها الكلية ثم تركه ليجتهد من خلالها.. فأولا منحه صفة العزة في الأرض إذا كان مؤمنا: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين».

ثم منحه حرية الإعتقاد: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي».

ثم طلب منه التأمل والتفكر وإطلاق الطاقات الخلاقة فيه: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون».. «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب».

ثم دعاه ليسبح في الأرض ويتأمل فيها وينشد رزقه حيثما وجد: «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور».

ثم جعله مسئولاً عن نفسه محاسباً من قبله فقط: «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم».

ويقول: فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها». وفي نفس الوقت خفف عنه الأعباء: «لا نكلف نفساً إلا وسعها...!..».

وحتى إذا أخطأ في حق نفسه، وظلمها فتح الله له باب التوبة ليمسح بها خطاياها: «كتب ربكم على نفسه الرحمة...».

وفي مجال البحث العلمي طلب أن يدرس ويتأمل، واعتبر العلماء من أكثر الناس قرباً لله، وحبا فيه وخوفاً منه: «إنما يخشى الله من عباده العلماء...».

سيقول البعض ماذا تعني الفروض من صلاة وزكاة وصوم وحج.

التأمل في هذه الفرائض يجدها من أقوى دعائم حرية الإنسان، فالصلاة تؤكد أن العبودية لله وحده وليس لغير الله، هذا التأكيد

الإنسان حر أم عبد..؟

يبدأ من الصباح إلى المساء.. في كل وقت يعلن المصل اسم الله وأنه أكبر.. وهذا يعنى أن كل المخلوقات أصغر وأقل.. ثم سجود وركوع لله وحده فإن سجد أو ركع لغير الله فقد كفر بالله وضع بالتالى حريته..

والزكاة هى قسم من المال يقطعه القوى والغنى من ماله الحلال ليساعد به أخا له أقل منه قدرة على الكسب، أو أضعف منه قوة.. وهذا لا يمس حرية الإنسان فى شيء بل يؤمنها.. والصوم، تهذيب وإصلاح للنفس ودعوة للتعاون مع الغير، وتحرر من سلطان شهواته.. والحج رحلة إلى الأرض التى يكر إليها الإيمان، وهى رحلة القادر فقط، وهى رحلة من القيود إلى الحرية..

أحرار عصرنا! قد يعترضون على هذا الكلام بحجة أن إنسان اليوم يعيش عصر الحرية.. حرية أعلنتها الهيئات الدولية فى موثاقها (كميثاق حقوق الإنسان) وسجلتها دساتير الدول.. سجلت حرية الدولة وحرية من يدخلها.. هذا عدا حرية الاعتقاد وحرية الكلمة وحرية التصرف..

لكن الواقع يكذب دعاة الحرية فى عصرنا، فلقد ابتلى أبناء القرن العشرين وهم أكثر أبناء القرون السابقة اعتقادا بحريتهم: ابتلى هؤلاء المساكين بضروب من العبودية التى لا تقل كثيرا عن عبودية أبناء غرب أفريقيا أو أبناء القوقاز أو أسرى الحروب.. فقد ابتلوا بقيود جديدة ذهبت بكل حريتهم.. والغريب فى الأمر أنهم رضوا بهذه القيود، وتخلوها أساور من ذهب يزينون بها أيديهم.

هذه القيود سمى بعضها بالحدود الإقليمية، وسمى البعض الآخر بالدساتير والقوانين والمصلحة العامة، وأطلق على بعضها الديمقراطية، وعلى البعض الآخر الشيوعية و...و..و..

الإنسان حر أم عبد..؟

فالإنسان في عصرنا ليس له الحرية أن يخطو خلف الحدود والتي تسور دولته إلا بإذن من هذه الدولة، وبموافقة الدولة الأخرى، فهو معتقل داخل حدود دولته، ومعتقل في الدولة الأخرى، التي تطلق عليه اسم (الأجنبي).. هذا الاعتقال الدائم الذي يعاني منه أربعة بلايين إنسان. تأمرت قوانين دولهم على فرض قيود قانونية على حريتهم. فإذا الإنسان عبد مقيد إلى أرض محدودة.. وهو لا يستطيع الفكك من قيده إلا بإذن من السلطة المقيدة ولفترة محدودة..

والعجيب أن الإنسان بعد أن يلفظ فترة طويلة رهن هذا القيد تضلوا نفسه إليه، ويزيد تشبته به.. وبالتالي يتم اليفاق بين السيد والعبد..

والإنسان في عصرنا تستعبده الدساتير والقوانين.. وتوثقه بموادها ولوائحها.. فالدساتير وهي التي تنعقد لها السيادة على القوانين والنظم تقوم كالأسوار العالية حول قطعة من الأرض وقطاع من الناس، فتحدد لهم موقعهم من الأرض، وتفرض عليهم هوية وفكرا عاما، ثم تفرض عليهم سلطات ثلاث، واحدة تضع لهم قيودا قانونية؟ ثم تسلم هذه القيود السلطة التنفيذية، التي تقبض باسم القوانين على رقاب الناس، ثم تدخل هذه القوات إلى دور القضاء لتفرض عليهم قرضا..

والاستعباد القانوني هذا يتفاوت من دولة إلى أخرى، ومن حاكم وآخر، وأشد القوانين استعبادا تلك التي تصدر من حاكم فرد، لأنه يصنع من القوانين قيودا محكمة ليخلق بها الشعب ويشنق حريته..

وقد كان (بول) إمبراطور روسيا جريحا حين سأله الشعب عن الدستور فأشار إلى صورة وقال (هنا الدستور)..

الإنسان حراً أم عبداً..؟

والغريب في الأمر أيضاً أن الشعوب تستسلم لسلطان هذه القوانين وتخضع لها جناح الذل.. وذلك بحجة أن القوانين - وإن كانت مقيدة للحرية - إلا أنها بيدها الصالح العام.. ولنو سألنا الشعوب عن آثار القوانين في حياتهم لوجدناها حازناً أميناً لصالح الأقوياء، وسجوناً وأغلالاً في أيدي الضعفاء فالقوانين في عصرنا صنعتها طبقة من أصحاب المصالح لتخدم بها نفسها.. وللأسف يشترك في هذا الموقف صانعوا القوانين الاشتراكية. وخبازوا القوانين الرأسمالية..

والمصلحة العامة ..

عبارة جميلة ومصطلح يغرى بالخير، إلا أنها استعملت لقهراً الأفراد، والتسلط عليهم، لأنها صدرت عن إرادة المجموع، وضغطت بشدة على حرية الفرد، وهنا تلعب أهواء السلطة دورها فتسجن إرادة الأفراد باسم المصلحة العامة.. ويضطر الجمهور الغافل عن حريته إلى التسليم بمتطلبات المصلحة العامة، وينسى حريته وحقوقه..

ونظم التعليم، ووسائل الإعلام يصنعها قوم، ليصنعوا منها فكراً طبيعياً يسلس به قيادة الشعب بحيث يكون عبداً للقوانين والأنظمة وأوامر ونواهي السلطة.. فالتعليم والإعلام يعملان في عصرنا على تكبيل عقل الإنسان، وإفراغ ما تشاؤه السلطة فيه مستعينة في ذلك بوسائل متجددة ومغرية، الصحف والإذاعات والأفلام كلها تصب توجيهات السلطة في الرؤوس وتستعمرها تماماً..

هذه القيود مهما أطلق عليها الإنسان من مسميات فإنها باجتماعها على إنسان القرن العشرين قد فرضت عليه أن يعيش

الإنسان حر أم عبد .. ؟

حبيساً بداخلها عبداً لإرادتها .
الحل هو أن يسلم الإنسان بعبوديته لله ليكتسب من بعد ذلك
كل حريته..
فإذا حددناه بإقليم أو قانون. فإن هذه الحدود لن تنال من
الحرية الكبرى التي اكتسبها من ربه.. لأنها منحة غالية ومنح الله
لا ترد «بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان...».

الله والإنسان



قضية البعث من القضايا التي عذب الكتاب
والفلاسفة أنفسهم قديما وحديثا في البحث عنها،
وعذبوا الشعوب معهم، وكان ولا يزال عذابهم
يدور حول سؤالين: لم نبعث.. وكيف نبعث..؟
ولو أنهم تأملوا آية واحدة من الآيات الخمس
عشرة التي تناولت قضية البعث لكفونا أمرهم،
ولكنه الجدل.. والجدل العقيم، وادعاء العلم ألقى
بهم في تيه لا حدود له.. «يجادلونك في الحق بعد
ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون».
ويسخر القرآن منهم ومن إفلاس حججهم بقوله
«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير، ثانی عطفه (أى متكبر) ليضل عن
سبيل الله، له في الدنيا خزی ونذيقه يوم القيامة
عذاب الحريق».

■ قضايا حائرة.. ومحيرة ■



الله والإنسان

ولسوف نعمل جهدنا في هذا البحث أن نعرض
الآيات والأحاديث النبوية لتزيدنا ثقة وإيماناً بحقيقة
البعث، وهى كفيلة بهزيمة أصحاب الحجج الواهنة.
ولقد وجدت في كتاب «الله والإنسان» للأستاذ
عبدالكريم الخطيب خير معين لى في هذا البحث، جزاه
الله عنا خير الجزاء.

يقول الكاتب في مطلع حديثه عن البعث أن الموت هو الذى أثار
فى الإنسان غريزة البحث عما بعد الموت، ولذلك شغل نفسه بهذه
القضية حتى قبل ظهور الرسالات السماوية.. ولقد استعرض
حالة الأمم والشعوب منذ آلاف السنين وكشف لنا عن مفهوم
البعث وعن تصوراتهم له.. ولسوف نمر سريعاً على شريط
الأحداث الماضية.. ثم نعبث بها إلى عصر الإسلام..

الله والإنسان

البعث عند الفراعنة :

لقد كان للفراعنة حظ وفير واهتمام كبير بقضية البعث، بل أنهم شيدوا حضارتهم المتمثلة في الأهرامات والمعابد من خلال إيمانهم بالبعث بعد الموت.. إلا أنهم كانوا مثار عجب في تكفيرهم فقصروا الخلود على الذين لا يرتكبون الآثام، إن هؤلاء وحدهم هم الذين يحظون برحمة «أوزير» فيمنحهم الحق في دخول حدائق السماء حيث الرخاء والأمن والسلام. أما الأشرار فإنهم لن يبعثوا أبدا بل يظلوا في قبورهم يجوعون ويعطشون، وتسلط عليهم التماسيح.. ويتولى «أوزير» بنفسه الحكم على من له الحق في الخلود أو من يترك للتماسيح، وعنده ميزان يضع فيه قلب الإنسان في كفة ويضع في الكفة الأخرى ريشة، ثم يصدر الحكم عليه.. ويشترك «أوزير» في هذه المحكمة مجموعة من القضاة والمحلفين..

ولقد امتد هذا الحق — أى حق المحاكمة، وإصدار الأحكام إلى الكهان فاتخذوا منها تجارة مربحة فمنحوا «صكوك الغفران» لمن يشتري منهم كتب الموتى التى ستدفن معهم وتكون شفيعا لهم عند «أوزير».. ونكتفى بذكر ما تضمنه أحد كتب الموتى من ادعيته..

«سلام عليك أيها الإله الأعظم رب الصدق والعدالة.. لقد وقفت أمامك يارب وحيى بى لكى أشاهد ما لديك من جمال.. أحمل، إليك الصدق.. أنى لم أظلم الناس.. لم أظلم الفقراء.. ولم أفرض على رجل حر عملا أكثر مما فرض هو على نفسه.. ولم أمت إنسانا من الجوع.. ولم أبك أحدا ولم أقتل إنسانا.. ولم أخن أحدا.. أنا طاهر.. أنا طاهر.. أنا طاهر».

الله والإنسان

وفي الديانة الفارسية:

أما الديانة الفارسية المشهورة « الزرادشتية » فهي تقوم على أساس أن الإنسان له رسالة على الأرض، وأنه إذا أدى هذه الرسالة على الوجه الأكمل كتب له الخلود، وصار من عالم الملائكة في الملأ الأعلى.. أما إذا قصر فإنه يبقى في عالم الظلام أبد الدهر..

وإن هناك معركة بين الخير والشر ستستمر اثني عشر ألف سنة ثم تنتهي بانتصار الخير وأهله.. ولا يهتم أصحاب هذه الديانة بجسد الموتى، فلاهم يحتفظون به كما فعل الفراعنة، ولا يحرقونه كما فعل اليونانيون القدامى، بل يتركونه لتأكله الطيور والكلاب.

وعند الهنود :

أما الهنود، فكان ومايزال يؤمن معظمهم بتناسخ الأرواح، ولذلك فهم ينكرون البعث، أما العقاب والثواب فليسوا في جنة أو نار، ولكن فيما ستؤول إليه حال الروح بعد أن تنتقل إلى جسد آخر من الحيوانات، فالروح الطيبة تسكن حيوانا راقيا، أما الروح الخبيثة فتسكن حيوانا حقيرا..

والهندي يعيش عمره في شقاء لأنه لا يدري أين يحل جسده، هل سيحل في حمار أو كلب أو دودة.

ولذلك فالهنود يفضلون إحراق أجسادهم بعد موتهم، وهم بهذا ينكرون فكرة البعث من أساسها، وبالتالي ينكرون الثواب والعقاب.

ويرى «بوذا» أن السعادة لا تتحقق إلا بإخماد شهوات الجسد وإنكار الذات حتى يندمج الإنسان في المطلق ويتحقق اتحاد الفرد بالله وبهذا تستكمل سعادته..

الله والإنسان

الأديان السماوية والبعث:

أجمعت الكتب السماوية على الإيمان بالبعث، والحساب والجنة والنار..

الديانة اليهودية:

يقول المؤرخ الأمريكي «ول ديورانت» أن أهواء اليهود لعبت في التوراة، وحولته إلى سجل يحكون فيه الأحداث التي مرت بهم، سواء أكانت أحداثاً سعيدة أو بغیضة لديهم، والتوراة كتبت بعد مئات السنين من نزولها على سيدنا موسى، وكان الدافع الرئيسي لتدوين التوراة أن الشعب اليهودي شرع يرتد عن عبادة «يهوه» (اسم الله عن اليهود) إلى عبادة آلهة اجنبية.

وهذا يسمى بالعهد القديم، أما العهد الجديد والمعمول به إلى يومنا هذا فقد دونه «عزرا» الكاهن قبل ميلاد المسيح عليه السلام بـ ٤٤٤ عاماً، ثم تلاه على قومه فأمنوا به، وهو ما يسمى بسفر (شريعة موسى).

ويقول ديورانت عن نظرة اليهود إلى البعث: (إن اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدينة، ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض).

هذا ما قاله ديورانت.. إلا أن الأستاذ عبدالكريم الخطيب رد عليه بقوله: ونحن نخالفه في هذا، لأن شريعة موسى لاشك أنها حملت صورة واضحة عن البعث إلى بنى اسرائيل، وكذلك عن الحساب وعن الجنة والنار، وإن يكن «بنى اسرائيل» قد غبثوا بهذه الصورة في عهد من عهودهم، فإنهم جددوا العهد والتمسوا

الله والإنسان

الحياة الآخرة فيه كان أقرب شيء إليهم ما في شريعة موسى من الحياة الآخرة..

الديانة النصرانية:

يقول المؤلف لقد كانت مهمة المسيح عليه السلام حيال (خراف بنى اسرائيل) - كما كان يدعوهم - أن يبعث في قلوبهم الصلدة المتحجرة قطرات من الرحمة والتعاطف والحب، أما بالنسبة للآخرة فكانت نذرهما مدونة في كتبهم لكنهم لا يعملون لها حساباً، فكان يذكرهم بها، ويستحثهم على عمل الصالحات..

ويذكر المؤلف أن السيد المسيح كان يبشر الصالحين بملكوت السماوات، ويحذر المذنبين من جهنم، فيذكر نصاً ورد في إنجيل متى (طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات، طوبى للحناني فإنهم يتعززون، طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى لانتقياء القلب لأنهم يعاينون الله).

ويقول في نص آخر من الآخرة (لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا، بل خافوا من الجري الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم).

خلاصة القول أن الديانة النصرانية تؤمن بالبعث والحياة الآخرة وأن المحسنين سيلقون جزاءهم، وأن الأشرار سيعذبون..

الإسلام والبعث :

نلاحظ ونحن نقرأ القرآن الجمع ما بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في معظم آيات القرآن.. «وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر».. «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر»..

بل يحذر القرآن وينذر الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، «قاتلوا

الله والإنسان

الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...».

ويعقب مؤلف كتاب «الله والإنسان» على هذا بقوله (وهكذا نجد الإيمان باليوم الآخر يقرن دائما بالإيمان بالله، حتى لكان الإيمان بالله لا يتم إلا إذا اتصل به إيمان باليوم الآخر)... ولو بدت أن الأستاذ الخطيب استغنى عن تعبير لكان. لأن الإيمان باليوم الآخر ركن أساسي من أركان الإيمان.. في حين أحسن في تعقبيه حين قال (الإيمان بالله عقيدة ثمرتها العمل بأوامر الله، واجتناب نواهيه، وابتغاء رضوانه في الدار الآخرة، «وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون».

ويحيلنا المؤلف إلى آيات القرآن الكريم التى شرحت لنا قضية البعث تفصيلا، كما كشفت لنا عن الأفكار الخاطئة التى كانت تسيطر على العرب قبل الإسلام.. كيف عاجها بالمنطق والحكمة.

ينقل إلينا القرآن الكريم تساؤلات الكافرين بيوم البعث، كما نقل إلينا سخرتهم من حقيقة البعث:

«وقالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون».. «قل من يحيى العظام وهى رميم».. أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد».. «ويقول الإنسان إئذا ما مت لسوف أخرج حيا».

هذا الإنكار والاستهزاء قوبل بالحجة الدامغة.

يقول الله تعالى: «وضرب لنا مثلا ونسى خلقه، قال من يحيى العظام وهى رميم، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم»... ثم يذكره بخلقه الأول، «أو لا يذكر الإنسان، أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا»..

ثم يسوق الله تشبيهات غاية فى الحكمة والبلاغة لإقناع المنكرين: «قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون».

الله والإنسان

ويعقب المؤلف على هذا التشبيه بقوله (قالشجر الذى ينضج ماء يملأ فروعه وأصوله يتحول إلى نار موقدة، الماء يضير نارا)» ليس هذا التحول في طبائع الأشياء من الضد إلى الضد فيه دلالة قاطعة على قدرة الخالق، ألا يقدر من يخلق هذا الشجر الأخضر أن يجعل من هذه العظام أجساما حية.

ويزداد الجدل فيزداد التحدى، «وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا؟» هذا الإنكار يقابله رد من لون جديد: «قل كونوا حجارة أو حديدا، أو خلقا مما يكبر في صدوركم، فسيقولون من يعيدنا، قل الذى فطركم أول مرة...».

ويعقب المؤلف على هذا التحدى الكبير بقوله (هذا الجواب يدعوهم لأن يخرجوا جملة من عالم الأحياء إلى عالم الجماد،... «كونوا حجارة أو حديدا» أو أى شىء يكبر في صدوركم مسافة بين الحياة وشبه الحياة.. فإذا صاروا إلى هذه الكائنات الممعة في الموت وظل السؤال كائنا في كيانهم «سيقولون من يعيدنا» ويكون الجواب «الذى فطركم أول مرة».

أسلوب آخر للإقناع :

أخذت سورة «الحج» بأسلوب جديد في الإقناع يحسن أن نضع النص بأكمله أمامنا ثم نتأمل الحكمة منه: «يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث، فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا، وترى الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور».

الله والإنسان

يشرح لنا المؤلف طرفا من هذه الآية فيقول: لقد دار هذا التراب في دورات الخلق والتكوين، وتقلب في أطوارها، ترابا، ثم نطفة، ثم علقة ثم مضغة، ثم جنينا ثم طفلا ثم تدرج في مدارج الحياة من الصبا إلى الشباب إلى الاكتهال والشيخوخة..

ثم يتساءل: هل يقع في عقل عاقل أن ينكر عودته من هذا التراب إلى الحياة مرة أخرى، لقد كان ترابا فصار إنسانا عاد إلى التراب، فماذا يمنع أن يصير إنسانا مرة أخرى.

وتتضمن الآية صورة أخرى عن الأرض الميتة الهامدة يصب فيها الماء فإذا الحياة تموج فيها، وإذا الجنة تخرج من كل فج منها؟.. فمن أخرج من التراب بشرا سويا؟ ومن أخرج من الأرض ثمرا جنيا؟ ذلكم هو الله..

ويذكر الكاتب مجموعة من الأحداث التي وقعت في الماضي أوردها القرآن الكريم ليؤكد للناس أن البعث أمر ممكن عملا فيضرب لنا ثلاثة أمثال:

يقول الله تعالى: « أو كالذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها، فأما الله مائة عام ثم بعثه، قال كم لبثت، قال لبثت يوما أو بعض يوم، قال بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير».

ويعقب المؤلف بقوله: إن الله قد حفظ أجساد الإنسان والحيوان والجماد مائة عام دون أن تتحلل، في حين أنها تفسد وتتحلل بعد ساعات في حياتنا العادية، فالذى حفظها مائة عام يمكن أن يحفظها مئات الألوف من الأعوام، وهو القادر على إعادتها في الصورة التى يراها.

الله والإنسان

ويردد الكاتب تساؤلات خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من حقيقة البعث «وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهم جزءا، ثم ادعهن يأتينك سعيا، واعلم أن الله على كل شيء قدير».

ويعقب الكاتب بتساؤل: (وهل ما يقع لأجساد الموتى شيء غير هذا؟! فبعث هذه الأجساد مشابه تماما لبعث الطيور . وآخر مثل يضربه ما وقع لأصحاب الكهف الذين أماتهم الله ٣٠٩ من الأعوام ثم بعثهم وكلبهم أحياء.

البعث يوم القيامة يكون بالروح والجسد معا: وليس بالروح وحدها كما زعم بعض الفلاسفة.. وفي هذا يقول الله تعالى: «كما بدأنا أول خلق نعيده»..

يقول: «والله أنبتكم من الأرض نباتا، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا».. ويقول: يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي».

وفي الحديث القدسي: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

فلفظ العبد يعنى الجسد والروح..

الغرض من البعث:

البعث حدده القرآن الكريم في مواضع كثيرة، فذكر منها: «إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى».. «ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى».

فالمقصود من البعث هو محاسبة الإنسان على ما قدمت يداه في الحياة الدنيا، ثم يتم القضاء في أمره إما جنة أو ناراً أبداً.

البعث للجميع في وقت معلوم، سيعث الناس جميعا يوم

الله والإنسان

القيامة: سواء منهم من عاش منذ آلاف السنين أو من ستقوم عليه القيامة.. يقول الله تعالى: «فاستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب، يوم يسمعون الصيحة بالحق، ذلك يوم الخروج، إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير، يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير».. ويقول: «فلنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة».

فالبعث سيكون للناس جميعا وفي وقت معلوم.

يرد القرآن على هذا التساؤل: «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء، ثم إلى ربهم يحشرون».. ويقول في موضع آخر: «وإذا الوحوش حشرت».

ويقول لنا الإمام أحمد حديثا رواه أبوذر قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين تتنطحان فقال: يا أبا ذر هل تدري فيما تتنطحان؟ قال لا، قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما. إلا أن الحيوانات كلها ستصير يوم القيامة إلى تراب، ويتمنى الظالمون والكافرون مصير الوحوش والكلاب والقرود ويقولون «ياليتني كنت ترابا».

ويلى البعث الحساب.. ويلى الحساب الحكم العادل بالجنة أو النار.

«وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا».

الإنسان بين العذاب والرحمة

كيف نعيش بلا رحمة، والرحمة سكينه العانى وحلم
اليائس. وغوث الملهوف ودواء المريج. وشفاء النفوس من
كل آلامها؟؟

ومن يكون الرحيم الذى تسع رحمته الإنسان
والحيوان والطير!!

إنه «الرحمن الرحيم».

والرحمن الرحيم منح رسله صفة الرحمة وخص
محمدا آخر هؤلاء الرسل بأنه رحمة مهداة للإنسانية وكل
الكائنات الحية.. فقال عنه!!

«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

ووصف النبى نفسه بقوله (إنما أنا رحمة مهداة) ثم
طالب الناس جميعا بأن يكونوا رحماء بينهم.. «محمد
رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم...»
يدعو رسول الله الناس جميعا للتراحم بقوله
(الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من فى الأرض يرحمكم
من فى السماء).

ووصف نبيه بأنه رحمة وأوصى الناس بالرحمة.. فلم
تقدم القسوة والعذاب على المغفرة والنار على الجنة.. فى
حين أن الله كتب على نفسه الرحمة «كتب ربكم على نفسه
الرحمة».

■ قضايا حائرة.. ومحيرة ■



الإنسان بين العذاب والرحمة

الرحمة للجميع باستثناء المشركين:

« إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

على ضوء هذه القاعدة يمكن أن نقول أن رحمة الله تبسط ظلالها على كل الناس باستثناء من يصر على رفض هذه الرحمة، وينكاره من يملك منحها.. فالذي يشرك بالله ينكر الله، وبالتالي فهو ينكر رحمته وعطاءه.. وتكون النتيجة أنه يحرم من الرحمة والمغفرة ويستحق العقاب. سيقفز سؤال، وهل يعفو الله عن القتل والصوص والزناة والمرتشين، ولاعبى القمار؟؟

الجواب تكفل به خالق الإنسان، والذي يعلم خبايا نفسه، وخلجات قلبه، ولنستمع لهذا النداء الرائع من الخالق الرحيم « قل

الإنسان بين العذاب والرحمة

يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم.

هذا الإعلان يظل كل الناس باستثناء الذى يصر على الكفر، أو يصر على لإثم. ويوافق هذا البيان إعلان آخر من رسول الله حين قال (كلكم يدخل الجنة إلا من أبى) فلما سئل عن وصف من يأبى دخول الجنة قال (من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى)، وطاعة الرسول من طاعة الله، «من يطع الرسول فقد أطاع الله».

ولقد كان من حكمة الله أنه امتحن صفوة خلقه وهم الأنبياء والرسل فى قضايا متنوعة، ثم هيا لهم فرص النجاح، حتى إذا ما امتحن الناس من بعدهم أمكنهم علاج أخطائهم.. ولنضرب أمثلة لذلك :

● الأب الكبير آدم عليه السلام يتعرض لإغراء الشيطان فيأكل من شجرة محرمة، ثم يعاقب بالخروج من الجنة، ثم يتوب الله عليه، «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم».

● وتعرض لنا قصة نبي جمل الله صورته، فتغرم به امرأة عزيز مصر، وتحاول بكل وسائل الإغراء والقهر أن تستدرجه للإثم، فيعتصم الرجل بالله، فتأتيه النجدة، «وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن، إنه هو السميع العليم».

● ويتعرض سيدنا موسى لحنة من لون آخر، فحينما تدخل بين أحد أتباعه وأحد خصومه ولكز خصمه فوق قتيلا، استجار بالله وألح فى طلب العفو فاستجيب لدعائه، «فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه، قال إن هذا

الإنسان بين العذاب والرحمة

من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين، قال ربى إنى ظلمت نفسى فاعفر لى فغفر له، إنه هو الغفور الرحيم.

● وذكر لنا القرآن الكثير من المواقف التى تولى الله فيها تصحيح مواقف لرسول الله محمد منها قصة عبدالله بن أم مكتوم، «عبس وتولى، أن جاءه الأعمى...» ومنها الإفراج عن الأسرى فى أول معركة، «عفا الله عنك، لما أذنت لهم ...».

فالمثل البشرية العالية امتحنها الله فى مواقف متنوعة، ثم لقنها وسائل الإصلاح، وأدبها أدباً عالياً، ثم عفا عنها وأفسح لها باب الرحمة..

والمطلوب من الإنسان إذا ابتلى بالخطأ، أن يعمل على إصلاح نفسه وتقويمها مستعيناً بوصايا القرآن، ونصائح الرسول، ثم يتوب توبة صادقة.

ولكن الذنوب ليست على درجة واحدة، بل هى تتدرج من أعلى إلى أسفل.. فالكبائر كالقتل وشرب الخمر والزنا والسرقه وأكل أموال الناس بالباطل والربا والنميمة.. تمثل قمة الآثام.. ثم يأتى بعد ذلك اللطم أى الذنوب العارضة كاللغو فى القول والكذب الأبيض (كما يقولون)، وقد وعد الله الناس بأنه سيففر لهم الذنوب الصغيرة إذا تجنبوا الذنوب الكبار، «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما» ثم قال «ولله ما فى السموات والأرض، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللطم، إن ربك واسع المغفرة»، ثم أضفى الرحمة على الجميع لمن تاب وآمن وأصلح.

ثم إن الذنوب صنفان، ذنوب يقتربها الإنسان فى حق ربه، وذنوب يقتربها فى حق الناس.. ولكل منهما شروط فى التوبة.

الإنسان بين العذاب والرحمة

الذنوب التي يقترفها الإنسان في حق ربه شروط التوبة فيها ثلاثة: ترك المعصية والإقلاع عنها ثم الندم على ما ارتكبه منها، ثم العزم على عدم العودة إليها.. هذه الشروط الثلاثة ضرورية لقبول التوبة من الذنوب التي ترتكب في حق الله، من هذه الذنوب ترك الصلاة، أو الحج للمقتدر، أو الصوم.. أما الذنوب التي تقع في حق الناس، فلها أربعة شروط حتى تتحقق التوبة، الشروط الثلاثة التي ذكرناها.. أما الشرط الرابع فهو أن يبرأ من حق صاحبها.. فلو سرق مالا فعليه أن يتوب إلى الله تعالى ثم يرد المال إلى صاحبه، وإن كانت غيبة استغفر منها ثم استحل المجنى عليه.. ولكن ماذا في العودة إلى ارتكاب الذنوب بعد التوبة والاستغفار والندم؟؟؟

حديث رسول الله يبشرنا بأن الذنوب مهما بلغ كمها أو كيفها يمكن أن تطوقها التوبة، يقول الرسول روايا عن ربه (لو بلغت ذنوب عبي غنائ السماء ثم استغفرتني غفرت له). إلا أن هناك فرقا بين مذهب مصر على مواصلة الذنوب، وبين مذهب يرتكب الإثم ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب دون إصرار.. لم يترك هذا الموضوع دون إيضاح، فقد تناولت الآيات القرآنية كلتا الحالتين..

يقول الله تعالى: «والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون». فالمغفرة مقترنة بعدم الإصرار على ارتكاب الذنب..

وتوضح آية أخرى هذا المعنى، «والذين يعملون سوءا بجهالة ثم يتوبون من قريب، فأولئك يتوب الله عليهم...». والجهالة هنا تعنى عدم الإصرار والغفلة..

الإنسان بين العذاب والرحمة

كتارك الصلاة الذى يصر على تركها، والزانى الذى يصر على الزنا، والقاتل وشارب الخمر ولاعب الميسر الذى يصر على جرائمه يقفل على نفسه أبواب الرحمة..

التشجيع على التوبة :

لقد شجع الله الإنسان على المبادرة بالتوبة، ويسر له الوسائل، واستحثه على عدم اليأس والقنوط « ولا تياسوا من روح الله... » وقال « ولا تقنطوا من رحمة الله... ». بل إنه أعلم الإنسان أنه سيخطئ في حياته مهما كان تحوطه، ومهما كانت شخصيته.. يقول الحديث القدسي عن الله تعالى (لو لم تخطئوا لأتيت بقوم يخطئون فيستغفرون فأغفر لهم)، ويقول الحديث النبوي (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون).

.. بل إن الله تعالى لقن الإنسان بعض العبارات التي يقولها ليفتح له أبواب المغفرة والرحمة « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».. ويلقن نبيه عبارات لتعينه على التوبة، «وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين».

ومن وسائل التشجيع على التوبة والعمل الصالح أن الله جعل الحسنه بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون». وزيادة في التشجيع فإن الرسول فرق بين الإقدام على الحسنات والشروع في السيئات، فشجع على الأولى، وخفف من عقوبة الثانية.

قال في حديث متفق عليه: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك: فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى

الإنسان بين العذاب والرحمة

سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) .

ومن التشبيهات الرائعة الذي ذكرها رسول الله والتي يصور لنا من خلالها مدى حرص الله على توبة عباده، هذه القصة التي رواها لنا الرسول (كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، قال من أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا؟ فقتله فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس هل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، لأن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك على صورة آدمى فجعلوه بينهم - أي حكماً - فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاوسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة.

ويحدثنا الرسول عن ربه (يقول الله عز وجل، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطايا لا يشرِك بى شيئاً لقيته بمثلها مغفرة).

ولقد أفضى رسول الله إلى معاذ بن جبل بخديث بالغ الأهمية

الإنسان بين العذاب والرحمة

تذكره بنصه (يامعاذ، قال معاذ لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم صمت الرسول ونادى معاذًا ثانية يا معاذ، فأجابه لبيك يا رسول الله وسعديك.. ثم ناداه للمرة الثالثة يا معاذ، فأجابه لبيك يا رسول الله وسعديك.. ثم قال الرسول: ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار. قال معاذ، يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا. قال الرسول: إذا يتكلموا).

وظل معاذ كاتماً لحديث رسول الله ولم يبيع به إلا قبل موته.. ولكن هل يعنى هذا الحديث أن من ينطق الشهادتين يجور ويظلم ويسفك الدماء ويغير على الأعراض؟؟ مستحيل أن يكون هذا مفهوم الحديث!!

ولكن مفهوم الحديث أن جميع الجرائم باستثناء الشرك بالله لا يقفل باب الرحمة أمام مرتكبيها.. لأن أقفال باب الرحمة قد يدعوا الإنسان للمزيد من الجرائم والمزيد من الآثام.. وهذا يشكل خطراً على أمن الناس وسلامتهم.. فالقاتل الذى يتوب ثم نسد أمامه باب الرحمة قد يكرر جرمه دون مبالاة.. وكذلك شأن السارق والزانى..

إن فتح باب الرحمة أمام الجناة فيه رحمة بالجانى وفيه رحمة بالمجتمع ..

مصادر الذنوب :

لقد عرف الله الإنسان بأعدائه الذين يدفعون به إلى المعصية وارتكاب الذنوب .. وكان فى طليعة هؤلاء الأعداء نفس الإنسان، ثم الشيطان ثم أعداؤه وأصدقائه من بنى آدم. فقال عن العدو الأول «إن النفس لأماراة السوء» .. فهى التى تدفعه للإجرام والبلغى والكفر والجحود .. ولذلك حذر منه، ودعاها تطهيرها وتزكيتها

الإنسان بين العذاب والرحمة

«نفس وما سواها فالهملها فجورها وتقواها» قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» . ثم وعد النفس المذكرة بالمستقبل الزاهر المنير «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى» . وحتى يتم الانتصار على النفس وتزكيتها لأبد من إضافة خير جديد كل يوم، وتجنب شر، وقد وضع الله لنا أسباب الخير، كما بين لنا مواطن الشر، كل الاخلاقيات من صدق وامانة ووفاء وكرم ونجدة، كلها من اسباب الخير، وعدم العدوان على نفس الغير وماله تزكية وتطهيرا للنفس.. فالنفس تحتاج إلى جهاد ومعاناة حتى تزكو وتطهر، ولقد لفت الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين إلى مدى أهمية جهاد النفس بعد عودته من معركة حربية مجهدة : قال لأصحابه (عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر فظن أصحابه أنه يعد لمعركة حربية أكبر فسأله في لهفة : وما هو الجهاد الأكبر يا رسول الله قال: جهاد النفس).

ولقد وصف الله النفس بأنها كثيرة الأمر بالمنكر قال : «إن النفس لأمر بالمعصية بالسوء». والمطلوب من الانسان أن يقابل هذه الأوامر الملحة بالسوء إلى الاستجابة لأوامر الخير والمعروف.. ولقد أبدع عمر بن الخطاب وهو يصف دور النفس فى الإغراء، كما رسم لنا أسلوب المقاومة، قال عمر بن الخطاب (اقعدوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها نزاعة إلى شر غاية، إن هذا الحق ثقیل ولكنه مرئى، وإن الباطل خفيف، ولكنه وبئى، ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا ثقیلا).

والعدو الثانى الشيطان، والشيطان مخلوق خفى «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» ، وقد ذكرت لنا أوصافه، وصفاته، وتاريخه الذى بدأ مع بداية خلق الإنسان، كلها موضحة فى

الإنسان بين العذاب والرحمة

القرآن.. فتاريخه يبدأ بعصيان الله وإعلان الحرب على الإنسان «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه، أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو، بئس للظالمين بدلا».

وقد أعلن الشيطان معركته ضد الإنسان اخذاً بكل الأسباب، مستغلاً جوانب الضعف فيه، وقد ذكر الله في كثير من آيات القرآن أساليب الشيطان ومداخله، «.. لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لأتنيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ولا تجد أكثرهم شاكرين».

وقد كشف الرسول عليه السلام عن مدى تغلغل الشيطان في حياة الإنسان، وبين الوسيلة طرده بهذا التشبيه الدقيق (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا لهجاريه)، والدم يقوم بتغذية الإنسان وينتشر في كل أجزاء الجسم، كذلك الشيطان فإنه ينتشر في كل أرجاء النفس، يحرص «ويغري، ويؤسوس، ويثير الفتن والبلاقل، ويشارك في كل الآثام، يشارك القاتل في القتل، والزاني في زناه، وشارب الخمر في كثوسه، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء»، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر».

ولقد بين الله للناس وسائل الجهاد ضد الشيطان، وكان أولها إعلان الحرب عليه: «الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا» ثم ذكر الإنسان بأن عداوة الشيطان بدأت مع خلق الأب الأول آدم، أنه حاول فتنه هذا الأب: «يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة»، ولأن الشيطان قوى وضار في عداوته أوصانا الله بأن نستعين عليه بقدرة الله مع المجاهدة الدائمة.. «فإما ينزغتك

الإنسان بين العذاب والرحمة

من الشيطان نزع ، فاستعذ بالله ... » .
بل علمنا كيفية الاستعاذة بالله من الشيطان : « قل أعوذ برب
الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، .. »
« قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، .. » .
ولفت نظرنا بشدة إلى أن اغفال جانب الله ، والتهاون في مداومة
ذكره ، يعنى السقوط في قبضة الشيطان ، « ومن يعيش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » .
وكانت المفاضلة في منتهى الوضوح ، فيما أن يعبد الشيطان ،
وإما أن يعبد الله ، « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان
إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم » .
ولقد ضمن الله للإنسان أن كيد الشيطان وجبروته لا يمكن أن
ينال من الإنسان الصالح .. « وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ... »
وقال « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .
العدو الثالث ، الإنسان :

الأخوة بين الناس باعتبارهم ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة
أثبتها الله في كتابه ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ،
وهذه الأخوة ضرورة للتعايش والتعاون لصالح الإنسانية ، بغض
النظر عن الانتماء العقائدي ، لكن الله تعالى أثار المؤمنين بأخوة
خاصة تستمد قوتها من الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين
قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً .. » « والمؤمنين والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض .. » .

ولكن الإنسان تأبى على الأخوة العامة ، فأغار على أخيه قتلاً
وظلماً وجوراً وعدواناً ، وحتى الطائفة المؤمنة لم يسلم الأمر من

الإنسان بين العذاب والرحمة

وقرّع تظالم فيما بينهم، «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله...».

وما من ظلم أو قتل أو سرقة أو زنا إلا وفيه طرفان، طرف معتد وطرف معتدى عليه.

ومهما فعل الإنسان من خير، ومهما بذل من مال، وأيا كان مركزه أو سلطانه فإنه سيتعرض لعدوان الإنسان، حتى الأنبياء والرسل لم يسلموا من هذا العدوان.. وعدوان الإنسان قد يكون باليد أو باللسان أو بالهمز واللمز.. أو الغيبة والنميمة.. وما على الإنسان الصالح إلا الصبر على العدوان والتحمل ما دام ذلك في مقدوره، وما دام الأمر لا يمس دينه ووطنه وشرفه وحقه، فقد وجب عليه دفع العدوان بكل وسيلة.

يقول رسول الله (من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد، ومن مات دون حقه فهو شهيد)، ولقد حذر الله ورسوله من عدوان الناس وبغيهم..

قال رسول الله (إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، فلما سئل وما ذنب المقتول، قال لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه)

وقال عن الزناة والقتلة (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يقتل النفس حين يقتلها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).

وعداوة الإنسان لأخيه الإنسان لا تقتصر على حياتنا القائمة ولكنها قد تمتد إلى الحياة الثانية.. فقد صور لنا القرآن الصراع الذي سينشب بين أصدقاء السوء والمتأمرين وأحلاف الشر، «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين»، كما بشر

الإنسان بين العذاب والرحمة

المتعاونين والمدافعين عن الحق والخير بأنهم سيجتمعون مع بعض في جنة ممتعة «ونزعنا ما في صدورهم من غل، إخوانا على سرر متقابلين».

هذه العداوات الثلاث، عداوة النفس، وعداوة الشيطان، وعداوة الإنسان، تعمل جاهدة على إفساد حياة الناس دنيا وأخرة.. والإنسان العظيم هو الذي يسجل انتصارا في كل معركة تعرض له.. وحتى إذا أصيب بهزيمة فلا ييأس ولا يقنط، ولكن يكر ثانية وثالثة إلى أن يحقق النصر الأخير.

لمتسائل أن يقول.. إن الله وصف نفسه بالشدة كما وصف نفسه بالرحمة، وخلق النار كما خلق الجنة.. ووصف الرسول بأنه نذير كما وصفه بأنه بشير.. فلم نذف للناس بشريات الجنة، ونذع نذر العذاب؟؟

الجواب على هذا تكفل به القرآن الكريم «إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وإن ربك لشديد العقاب» .

وأوصى الإنسان بأن يسأل الله الرحمة ويعوذ من العذاب، «ادعوه خوفا وطمعا، إن رحمة الله قريب من المحسنين» .

ونختم حديثنا ببشرى الرحمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ليبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) .

هل خلقنا الله أم الطبيعة؟

٦

إلى الذين ينكرون الله....
وإلى الذين ينكرون الرسالات والرسول...
وإلى الذين ينكرون اليوم الآخر...
إليهم جميعاً هذه المواجهة العلمية...
لقد تجرأ نيوتن على الله الذي منحه قدراً من العلم فقال
(إنه لا وجود لإله يحكم النجوم).
وتجرأ هيوم على الإله فأنكره وتحداه (لقد رأينا
الساعة وهي تصنع في المصانع، ولكننا لم نرى الكون وهو
يصنع، فكيف نسلم أن له صانعاً).
وتجرأ لينين وأعلن في خطاب جماهيري (إننا لانؤمن
بالله، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة
والاقطاعيين، والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله إلا
لإستغلالا، ومحافظة على مصالحهم).
وشارك في هذا الجحود والإنكار عشرات من رجال
العلم والفلاسفة كفرويد، وداروين، وهكسلي... وتبعهم
كثير ممن اختلط عليهم الفهم... وللأسف تتلمذ على أيديهم
ببغاوات شرقية قامت بترديد أصداء كفرهم وجحودهم.
وكان شرقنا في غلبة من أمره فهو مكتوف الأيدي بالسلاح،
معتقل الفكر تحت وطأة الولاية الفكرية للسيد الأبيض،
حتى إذا أدركته البقطة الكبرى رفس الإستعمار بقدمه، ثم
بدأ يطعنه بقلمه. فكان الطعان يكتب.

■ قضايا حائرة .. ومخيرة ■



هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

وصاحب هذا الكتاب (الإسلام يتحدى) رجل من باكستان هو وحيد الدين خان، والذي يسر لنا أمره وحققه رجل من مصر وهو الدكتور عبد الصبور شاهين.. وقد شاركنا بجهد رائع في معركة الطعان بالقلم. وياليت داروين، ولينين كانا على قيد الحياة ليشاهدا معركة التحدى وقد تصدى لها علماؤنا بكل بسالة وبطولة.. وكاتبنا يحاول أن يدفع بالحجج العلمية والبراهين، وأقوال العلماء والفلاسفة المعاصرين، تخاريف زعماء الإلحاد والمروق، الذين أضلوا زماننا، وأفسدوا معتقدات شبابنا.. قصائد حججهم بعلم النفس، وبعلم الطبيعة، وبعلم الفلك.. حتى أجهض كل دعاواهم..

فمثلا : هو يردد على عباد الطبيعة الذين يردون إليها الأمر في

هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

كل شيء، ويرون أن الحوادث تحدث طبقا لقانون الطبيعة، وبالتالي لا حاجة لأن نفترض لهذه الحوادث إلها!! إنه يرد عليهم بمثل بسيط عن (البيضة والكتكوت) قال: إن الكتكوت يعيش داخل قشرة البيضة القوية، ويخرج منها بعد ما تتكسر، وكان الإنسان القديم يؤمن بفطرته بأن الله أخرجه، ولكننا شاهدنا اليوم بالمنظار أنه في اليوم الحادى والعشرين يظهر قرن صغير على منقار الكتكوت، يستعمله في تكسير البيضة، ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة..

ثم إن هذه المشاهدة أبطلت ما يقول: إن المعارضين يقولون الفكرة القديمة القائلة بأن الله يخرج الكتكوت من البيضة، وإن خروج الكتكوت من البيضة، جاء نتيجة لتفاعل استمر واحدا وعشرين يوما.. ويرد عليهم بقوله: إن السبب الحقيقى سوف ينجلي لأعيننا حين نبحث عن العلة التى جاءت بهذا القرن ؟ العلة التى كانت على معرفة كاملة بأن الكتكوت سوف يحتاج لهذا القرن ليخرج من البيضة!!

ثم يتعقب الذين ينادون بضرورة الدين، ولكنهم يتصورون الدين بدون إله، ويستشهدون بالبوذية التى تؤمن بالدين ولكنها لا تؤمن بالله.. ويضع هؤلاء تصورهم فيقول: إن الدين الذى يصلح لهذا العصر يلزم أن يكون مثل البوذية، فإن إله العصر هو (مجتمعه وأهدافه السياسية)، ورسول هذا الإله هو البرلمان الذى يوجه الشعب، ومعابد هذا الإله العصرى ليست المساجد أو الكنائس، وإنما هى المصانع الكبيرة والسدود العظيمة.

ويرد الرجل على هؤلاء المتخبطين بقوله: أن أكبر دليل على وجود الله هو مخلوقه، هذا الذى نجده أماننا، وأوثق ماعلمناه من حقائق الطبيعة يدعوننا إلى الإيمان بأنه لا ريب أن لهذه الدنيا إلها

هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

واحد، ونحن لانستطيع أن نفهم أنفسنا وأن نفسرها مجردين من الإيمان بالله.. (الله خالق كل شيء، وهو على كل شيء قدير)..
سأخلق إنسانا !!

وسخر عالمنا من (هكسلى) وهو أحد علماء البيولوجيا المشهورين حين قال: (ائتوني بالهواء، وبالماء وبالأجزاء الكيماوية، وبالوقت وسخلق إنسانا)، فيرد عليه ببساطة (إن هكسلى نسي أو تجاهل، أنه بتقريره احتياجه إلى الماء والأصول المادية ينفى زعمه من تلقاء نفسه)..

وحتى يقتل افتراءات هؤلاء العلماء يدفع في وجوههم بعلماء من مستواهم العلمي، فيقرر الحجة بالحجة فهو ينقل إلينا رأى عالم الطبيعة الأمريكى (جورج دايرل ديفيس) : (لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه فان معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحالة سنضطر لنؤمن بأن الكون هو الإله، وهكذا ننتهى للتسليم بوجود الإله، ولكن إلها هذا سوف يكون عجيبا وماديا فى آن واحد!! إننى أفضل أن نؤمن بذلك الإله الذى خلق العالم المادى وهو ليس بجزء من هذا الكون، بل هو حاكمه، ومدبره، ومديره، بدلا من أن أتبنى هذه الخزعبلات)..

قضية الفضاء :

ثم يسبح بنا الكاتب فى أجواء الفضاء ليكشف لنا بعض أسرارها لتأمل عظمة الله وقدرته.. وأن هذا الكون يستحيل أن يكون من خلق الطبيعة أو انه تشكل بالصدفة..

يقول: إن علم الفلك يدلنا أن عدد نجوم السماء مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل البحار فى الدنيا كلها، وأن القليل من هذه النجوم يصغر عن حجم الأرض، أما معظمها فيكبر الأرض ملايين المرات.. وحاول الرجل أن يأخذنا فى رحلة فضائية ويدور

هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

بنا حول الكون فجمعنا في طائفة خيالية تسير بسرعة ١٨٦,٠٠٠ ميل / ثانية أى ٦٦٩ مليوناً و ٦٠٠ ألف ميل في الساعة.. هذه الطائفة سوف تدور حول الكون في ألف مليون سنة..

ويقول : والعجيب أن هذا الكون يتسع كل لحظة. وأنه بعد ١٣٠٠ مليون سنة سوف تتضاعف المسافات الكونية!!

ويقول : أن هذا الكون كنا نجهل عنه الكثير.. فمثلاً كنا نرى بالعين المجردة خمسة آلاف نجم، أما الآن نرى بليونين من النجوم باستعمال التليسكوب العادى.. فماذا نرى منه في غدنا ؟؟

وينقلنا من العالم الكبير جداً إلى عالم صغير جداً وهو عالم الذرة ثم يفاجئنا بالأرقام بأن عالم الذرة بالغ الضخامة. ويقول أن الذرة لا يمكن أن نراها بالعين المجردة. بل أن المنظار الذى يكبر ملايين المرات يعجز عن رؤيتها.. ومع هذا فقد ثبت أنها تحتوى على مجموعة من الإلكترونات. وهذه الإلكترونات لا تتصل بعضها ببعض، وإنما تدور حول البروتون، وأن كليهما يدور حول مركز الذرة بغير علم. فلماذا لاناخذ منه دليلاً على وجود منظم قائم على هذا التنظيم.. إنه الله.

الإيمان بالآخرة :

ويقول هذا العالم الكبير في أحد أبحاثه التى تضمنها كتابه: إن من أهم الحقائق التى يدعوننا الدين للإيمان بها: فكرة الآخرة، المراد بها أن هناك عالماً آخر غير عالمنا الحاضر، وسوف نعيش ذلك العالم خالدين.

وأن عالمنا هذا هو مكان للبلاء والاختبار، وجد فيه الإنسان لأجل معلوم.. وأن الله سوف ينهى هذا العالم حين يريد لبناء عالم الآخرة وأن الناس سوف يبعثون مرة أخرى وسوف تعرض أعمالهم خيراً أو شراً على محكمة الله، والذى سيجزى كل إنسان بما عمل..

هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

يبدأ الأستاذ مناقشته لقضية النهاية المحتومة للأرض، بضرب الأمثلة لنا بالنهايات المصغرة التي تجرى أمامنا كل يوم مثل الزلازل والبراكين.. والتي تأتي على معظم الحياة القائمة من حولها، بعد أن تحدث أضواء مفزعة، ورجات قوية، ثم ترسل لها يكاد يخطف الأبصار.. وقد استحال على الإنسان المعاصر بكل إمكانياته العلمية والفنية أن يوقف هذه الزلازل، أول حتى يخفف منها.. وكل ما فعله هو مداواة بعض آثارها، والتخفيف من تخريبها..

ويذكر : لنا أمثلة من الزلازل والبراكين الرهيبة التي أتت على الأخضر واليابس، كزلزال شنن الصينى الذى وقع عام ١٥٥٦ وراح ضحيته ثمانية ملايين نسمة، وزلزال، لشبونة الذى هز ربع أوربا، وقتل ثلاثين ألفا من البشر، وزلزال آسام بالهند والذى وقع منذ قرن تقريبا، وقد تمكن من تغيير مجرى أكبر نهر بالهند وهو (برهام بوثرا).

ويعلق المؤلف على هذه الظواهر بقوله: إن هذه الزلازل تقرر أبواب المدن فجأة، دون سابق إنذار، وأن الإنسان لا يستطيع أن يتنبأ بمكان الزلزال، ولا بموعد وقوعه، والزلازل تنبئ عن القيامة الكبرى التى سوف تفاجئنا ذات يوم على غرة منا.. إن هذه الزلازل دليل ناطق بأن خالق الأرض قادر على تدميرها كما يشاء..

ويسوق لنا حكمة وردت على لسان العالم الجغرافى (جورج جاموف) يقول: أن هناك جهنم طبيعية تلتهب تحت بحارنا الزرقاء، وتحت مدننا الحضارية المكتظة بالسكان، وبكلمة أخرى نحن واقفون على لغم كبير، ومن الممكن أن ينفجر فى أى وقت ليهدم النظام الأرضى بأكمله.

وسبحان القائل: «إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض

هل خلقنا الله
أم الطبيعة .. ؟

أثقالها. وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها...، وقوله تعالى «إذا رجت الأرض رجا، وبست الجبال بسا...».

وينتقل الكاتب من ظواهر الأرض إلى ظواهر السماء فيقول: «إن الكون فضاء لحدود له، تدور فيه نيران هائلة لاحصر لها، وهذا الدوران يمكن أن يتحول في أى يوم إلى صدام عظيم لايمكن تصويره، وفي تلك اللحظة البرهية يكون مافى الكون أشبه بالآلاف من القاذفات النفاثة المليئة بالقنابل النووية في طريقها لصدام رهيب.. إن اصطدام الأجرام السماوية ليس بغريب مطلقا، بل الغريب هو عدم وقوع هذا الاصطدام».

ويذكر الكاتب بعض الاحصائيات المذهلة من عالمنا العلوى، ويقول: يتألف الكون من خمسمائة مليون من مجاميع النجوم مضروبا هذا العدد فى ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الملايين وفى كل مجموعة منها يوجد مائة مليار من النجوم، ويقدرّون - أى علماء الفلك - أن أقرب مجموعة من النجوم، وهى التى نراها فى الليل كخيوط بيضاء دقيقة تضم حيزا مداه مائة ألف سنة ضوئية.. هذا الكون محكوم بدقة متناهية يقدرها الحكيم الخبير.. والكرة الأرضية لاتزن شيئا فى هذا الكون.. فإذا أراد الله فناءها فمن يعصمها منه، وهو خالق هذا الكون العظيم..

ضرورة الحياة الآخرة :

وبأسلوب سهل قوى يتصدى وحيث الدين لفلسفة نيتشه عن الحياة حين قال (الحياة غدو.. ورواح) وأنها تمتلئ وتخلو كالساعة.. فيرد عليه بإيجاز: (إن الحياة الآخرة ذات هدف عظيم وهو المجازاة على أعمال الدنيا خيرا أو شرا)، ثم يتساءل ولكن كيف تحفظ أعمال الإنسان التى سيجزى عليها؟؟

هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

ويجيب على هذا السؤال بقوله: للإنسان ثلاثة أبعاد يعرف من خلالها هي: نيته، وقوله، وعمله.. وهذه الأبعاد الثلاثة تسجل بأكملها، فكل حرف يخرج من لساننا، وكل عمل يصدر عن عضو من أعضائنا يسجل في الأثير الفضائي، ويمكن عرضه في أى وقت من الأوقات بكل تفاصيله..

ويقول: ولقد أثبتت التجارب العلمية، أن جميع أفكارنا تحتفظ في شكلها الكامل، ولسنا قادرين على محوها، وأثبتت هذه التجارب أن الشخصية الإنسانية لا تنحصر في الشعور، بل هناك أجزاء أخرى وراء الشخصية الإنسانية تبقى وراء الشعور، وهذه الأجزاء تشكل جانباً كبيراً من شخصيتنا، ويشبه الشعور واللاشعور بجبل الجليد لا يظهر منه فوق سطح الماء إلا تسعة وتبقى الأجزاء الثمانية الباقية مستكنة تحت الماء..

ويؤكد عالمنا إستناداً إلى أداء معظم علماء النفس أن كل ما يخطر على بال الإنسان من خير أو شر ينقش في صفحة اللاشعور فلا يزول إلى الأبد ولا يؤثر فيه تغير الزمان، وهذا يحدث على الرغم من الإرادة الإنسانية..

ثم يقول : إن هذا الواقع يؤكد بكل صراحة، إمكان وجود سجاى كامل لأعمال الإنسان في حيازته عندما يبدأ حياته الأخرى: «ولما خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد».

صدق الله العظيم ..

هل من حاجة للأخرة؟؟

يروى لنا المؤلف قولين متناقضين للأستاذ (وينود ريد) ثم يناقشه ويناقش بهدوء المعروف: يقول وينود (إنه لأمر هام يدفعنا إلى التفكير فيما إذا كانت لنا علاقة شخصية مع الإله، هل

هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

هناك عالم غير عالمنا هذا، وهل سوف نلقى جزاء عملنا في ذلك العالم؟ إن هذا السؤال تتعلق به مصالحنا الكثيرة، فحياتنا الراهنة قصيرة جداً، أفراحها عادية موقوتة، ويفاجئنا الموت، ولو استطعنا الإهتمام إلى طريقة خاصة تجعل أفراحنا دائمة وأبدية، فلن يرفض العمل به أحد غير البله والمجانين)

وللأسف فإن الكاتب يعود ليتنكر لما يقوله حين يقول في سخرية: «إن هذه العقيدة - أى عقيدة الآخرة - كانت معقولة جداً حين كنا لانبحث جوانبها بعمق وجد، ولكن بعد هذا البحث اتضح لنا أن أمرها سخيف، ويمكن إثبات سخافتها بسهولة، فالفلاح المحروم العقل، الجاهل لا يتحمل مسؤولية خطاياها وسيدخل الجنة، ولكن العباقرة مثل فرويد وروسو سوف يحترقون في نار جهنم، يرد وحيد الدين كاتبنا على هذا الخلط فيقول: «إن كاتبنا لم يرق له أن يطالب جوته وروسو أن يسلكا مسلك الحق، وإنما طالب الحق بالتغير، ولما لم يطع الحق راح ينكره).

ثم يتعقبه بالحجج والأمثلة والحكم، فيقول أنه لا يوجد على سطح الأرض من يفكر في الغد غير الإنسان، لأن حياة الحيوان هي (حياة اليوم) وهذا ما يميز الإنسان عن الحيوان .. لأن الإنسان يتطلع إلى المزيد من السعادة والخير مع دوام هذه السعادة، ثم يقول: ولقد حاول الفلاسفة ورجال الإقتصاد والثوريون أن يقنعوا الإنسان بأنه مع التقدم التكنولوجى سوف يعيش في غمرة السعادة، وبالتالي سوف يغرض عن التفكير في السعادة الآخروية..

ثم يرد عليهم بمثلين أحدهما يأخذه من واقع الماركسية اليوم فيقول عنها: إن النظام التكنولوجى لم يعط الإنسان أكثر من مظاهر مادية لأنه لا يملك القيم الروحية، حتى يمنع لاتباعه السعادة والطمأنينة القلبية وواقع الماركسية يؤكد هذا، ثم يثنى

هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

باعتراف صريح (البرتtrand راسل) قاله في مرحلة من مراحل يأسه (إن حيوانات عالما يغمرها السرور والفرح، على حين كان الناس أجرد من الحيوانات بهذه السعادة، ولكنهم محرومون من نعمتها في عالما الحديث).

وينتقل بنا الكاتب إلى مفهوم جديد يؤكد به الآخرة ليشهد الناس مصائرهم، ويجزون عما قدموه من خير أو شر، ويبدأ كلامه بتساؤل هل قامت مسرحية العالم كلها لتنتهى إلى كارثة أليمة، إن فطرتنا تقول لا، فدواعى العدالة والإنصاف في الضمير الإنسانى تقتضى عدم حدوث هذا الإمكان، لا بد من يوم يميز فيه بين الحق والباطل، ولا بد للظالم والمظلوم أن يجنيا ثمارهما..

ثم يتساءل بانفعال: إذا لم تكن هناك قيامة، فمن ذا الذى سوف يكسر رؤوس هؤلاء الطواغيت ثم يتكلم عن أحداث وقعت في الهند ويعلق عليها بأسلوب يملؤه الأسى والحزن يقول: لقد رفع القوم شعارات العلمانية والجمهورية واللاعنف، وفي نفس الوقت ارتكبوا أبشع ألوان الدكتاتورية وأسوأ صور العنف، وكل هذه الجرائم التى تأسى لحدوثها السباع المفترسة، والذئاب الكاسرة قد جرت في عهد زعيم أطلق عليه لفظ (معلم الإنسانية ورسول السلام): الزعيم المقصود هو جواهر لال نهرو وينتهى بنا الكاتب إلى القول بأن جميع الأبحاث النفسية والروحية والتجريبية قد إنتهت إلى أنه لا يعقل وجود حياة أولى دون وجود الحياة الآخرة، بل لقد آمن بهذه الآخرة كثير من العلماء والفلاسفة الذين لا يؤمنون بالدين..

وذكر لنا على سبيل المثال ماكتبه البروفيسور دو كاس أستاذ الفلسفة بجامعة براون.. قال دو كاس (... ويتضح لنا أن عقيدة بقاء الحياة بعد الموت التى يؤمن بها الكثير كعقيدة دينية - ليس

هل خلقنا الله أم الطبيعة .. ؟

من الممكن أن تكون واقعا فحسب، وإنما لعلها هي الوحيدة، من عقائد الدين الكثيرة التي يمكن إتباعها بالدليل التجريبي ولو صح هذا فمن الممكن أيضا أن نجد معلومات قطعية في هذا الموضوع..

ثم يختم كاتبنا حديثه بكلمة جامعة مانعة: (إننا لو أعطينا هذه المسألة الخطيرة شيئا من تفكيرنا، فسوف نجد قلوبنا تصرخ: «إن الساعة آتية لأريب فيها»..).

كيف نثبت نبوة محمد؟

على طريق التحدى، نلتقى فى هذه الحلقة مع
الأستاذ وحيد الدين خان مؤلف كتاب «الإسلام
يتحدى» حيث يجيبنا عن مجموعة من الأسئلة
الكبيرة بأسلوبه العلمى الرائع.. إنه سيجيبنا عن
هذه الأسئلة :

كيف نثبت نبوة محمد ؟؟
وهل القرآن من عند الله ؟؟

■ قضايا حائرة.. ومحيرة ■



كيف ثبت نبوة محمد .. ؟

يجيبنا الأستاذ وحيد الدين خان بقوله :

لا بد من وجود مقياسين لاختبار الأنبياء :

أولا : أن يكون رجلا مثاليا بصورة غير عادية،
فإن الذى يصطفى ليكون كليم الله، وليكشف
للإنسان برامج الحياة وسرها لابد أن يكون أسمى
شخصية فى النوع الإنسانى، فإن كانت حياته الذاتية
متصفة بهذه الصفات فهى أكبر دليل على مايقول، إذ لو كانت
دعواه باطلة لما كان ممكنا أن تتجلى هذه الحقيقة الكبرى فى حياته
الذاتية.

ثانيا : أن يكون كلامه ورسالته مملوءين بجوانب يستحيل
حصولها للإنسان العادى.

بهذين المقياسين يتتبع المؤلف سيرة محمد فى الناس قبل البعثة

■ قضايا حائرة .. ومحيرة ■ ٨٩ ■

كيف ثبت نبوة محمد

وبعدها.. فيضرب بعض الأمثال.

فقبل الرسالة كان يدعى بالصادق الأمين، وقد هتفوا به عندما دخل الكعبة بعد أن اشتد بهم الخلاف حول من يضع الحجر الأسود، وقالوا: «هذا الأمين رضينا».

ووقف ذات يوم يخطب في قومه، وكان ذلك في أوائل عهده بالرسالة، فقال لهم: «يا بطون قريش، رأيتم لو أخبرتم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟؟، فارتفعت الأصوات، وتجاوب صداها مع جبال الصفا: نعم ماجربنا عليك كذبا».

ولما أراه ملك الروم أن يتحقق من نبوة محمد سأل أبا سفيان «قبل إسلامه»:

هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قال أبو سفيان : لا..

فقال هرقل: إذا كان لا يكذب على الناس فهل يكذب على الله ؟!

ومن أروع أمثلة الوفاء بالعهد والأمانة، أنه أوصى على بن أبي طالب - في الليلة التي خرج مهاجرا إلى المدينة والقوم يتآمرون على قتله - أوصى برد كل الأمانات التي كانت عنده إلى أصحابها.

ويسجل الكاتب مقاله الدكتور ليتز عن أمانة وصدق الرسول : «إنني لأجرؤ بكل أدب أن أقول: إن الله - الذي هو مصدر ينابيع الخير كلها - لو كان يوحى إلى عباده، فدين محمد هو دين الوحي، ولو كانت آيات الإيثار والأمانة والإعتقاد الراسخ القوي، ووسائل التميز بين الخير والشر، هي الشاهد على الإلهام، فرسالة محمد هي هذا الإلهام».

ويقلب المؤلف صفحات أخرى عن حياة النبي، فيعرضها على عجل ثم يترك لنا استخراج النتيجة.. إنه يستعرض مجموعة من الوقائع.. منها الإيذاء الجسدي، فقد ضرب بالحجارة حتى دमित

كيف ثبت نبوة محمد

قدماءه، وألقيت عليه القاذورات، وشج وجهه الشريف وسالت الدماء منه في المعارك الجريية، وسجن ثلاثة أعوام عانى فيها مع أصحابه الجوع والقسوة، فأكل أوراق الشجر المرة، وذكر أن صحابيا اشتد به الجوع فاضطر لأن يأكل قطعة من الجلد بعد أن غسلها بالماء، وسخنها على النار، وحتى بعد أن خرج من الشعب (السجن) وعاش حياته العادية كان يعاني من الجوع وقلة ذات اليد. يقول الرسول عن نفسه (فأنت على ثلاثون بين ليلة ويوم، وإلى ببلال طعام يأكله ذو كبد، إلا شيء يواريه إبط بلال) هذا حال طعامه، أما حال لباسه وأثاث بيته، فيروي لنا عمر بن الخطاب أنه دخل عليه بيته فوجده مضجعا على حصير، وقد أثر في جنبه، فقال له: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم، وهم لا يعبدون الله.. فقال له رسول الله: أوفى هذا أنت؟؟ أولئك عجلت لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا..

وكان بوسع الرسول أن يكون من الأثرياء، لأنه كان تاجرا ناجحا وأميناً، ثم إن قومه قد عرضوا عليه الملك والمال، فقد جاءه عتبة بن ربيعة مفوضاً من قبل قريش وقال له: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموال حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به ملكاً، ملكناك علينا فكان جواب رسول الله تلاوة آيات من سورة فصلت: «حم، تنزيل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون..».

كان هذا الإيذاء البدني والنفسي، والمطاردة والتجويع والتآمر على القتل والحروب التي شنوها عليه لأكثر من عشرة أعوام.. كل هذا قابله وهو في أوج انتصاره بالصفح والعفو فقال لهم يوم فتح مكة «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

كيف ثبت نبوة محمد

ويختتم كاتبنا حديثه عن شخص رسول الله بما قاله البروفيسور «بوسورث سميث» عن الرسول: لقد ادعى محمد لنفسه في آخر حياته نفس ما ادعاه في بداية رسالته، وإنى لأجدنى مدفوعاً إلى الإعتقاد بأن كلا من الفلسفة العليا والمسيحية الصنادقة سوف تضطران يوماً ما إلى التسليم بأنه كان نبياً صادقاً من عند الله..

هل القرآن من عند الله؟؟

يسوق الكاتب العشرات من البراهين والوقائع التي تثبت أن القرآن من عند الله.. ويضع في قائمة هذه البراهين التحدى القرآنى: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين».. ويعقب إلى هذا بقوله: إنه تحد تاريخى عجز كل الكتاب والأدباء والعلماء عن كتابة مثله.. ويكتفى برواية واقعتين، أولاهما عندما تحدى الشاعر «لبيد بن ربيعة» القرآن فكتب قصيدة رائعة ثم علقها على باب الكعبة، فلما رآه أحد المسلمين كتب آيات من القرآن وعلقها إلى جوار القصيدة، فلما قرأها لبيد قال: والله ما هذا بقول بشر، وأنا من المسلمين.

وبلغ من إيمان هذا الشاعر أنه لما طلب من عمر بن الخطاب أن يسمعه شعراً قرأ سورة البقرة، وقال: ماكنت لأقول شعراً بعد أن علمنى الله سورة البقرة وآل عمران. وذكر واقعة أخرى عندما حاول بعض الزنادقة وضع كتاب مماثل للقرآن وأغروا عبد الله بن المقفع بهذا العمل فأعلن فشله.



ويأخذ بيدنا إلى ميدان النبوءات، فيذكر لنا أمثالا عن فشل نبوءات كبار القادة والفلاسفة والمفكرين من أمثال بونابارت

كيف نثبت نبوة محمد

وهتلر، ثم ماركس الذي تنبأ بأن الثورة الحمراء سوف تتحقق في فرنسا، ومع هذا فقد مضى أكثر من مائة عام ولم تتحقق الثورة في فرنسا..

ثم يذكر الكاتب بعض النبوءات نكتفى بذكر اثنين.. الأولى: أن القرآن بشر الرسول والمؤمنين بالنصر المبين في وقت كانوا فيه مستضعفين في الأرض.. قال الله «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

ثم ذكر نبوءة القرآن بانتصار الروم على الفرس في وقت كان الجميع يتوقعون عكس النتيجة.. وينقل نبوءة أبعد منها وقوعا، لأن السنين الإثني عشر الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية..

وسبحان القائل: «غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين».

القرآن وعلوم العصر:

يروى لنا العالم الهندي الدكتور (عناية الله المشرقي)، أنه زار العالم الفلكي الشهير الدكتور (جيمس جونز) الأستاذ بجامعة كيمبردج، وبعد أن استمع منه إلى حديث علمي عن الفلك.. قال الدكتور جيمس، إنني كلما تمعنت في عظمة الخلق والدقة المتناهية للأفلاك، ارتعدت فرائصي من عظمة الخالق.. هنا قال له الدكتور المشرقي: «نعدنا في القرآن آية تصف حالتك هذه بدقة، قال الله تعالى: «... ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها، وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماء ..».

صرخ الدكتور جيمس.. «... إنما يخشى الله من عباده العلماء...» هذا مذهش، وغريب جدا، إن هذا الأمر الذي كشفت عنه بعد

كيف ثبت نبوة محمد

دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة، من أنبأ محمدا بها. هل هذه الآية موجودة في القرآن حقا؟! لو كان الأمر كذلك، فاكذب شهادة مني أن القرآن موحى به من عند الله..

إن مؤلف كتاب «الإسلام يتحدى» يضع أمامنا الحقائق العلمية التي توصل إليها العلم الحديث، ثم يردنا إلى آيات القرآن الكريم التي نزلت منذ أربعة عشر قرنا بحقائق علمية مذهلة تثبت أن آيات القرآن كانت سبابة في ميدان العلوم المختلفة..

ولقد تناول الكاتب الظواهر الكونية، وحللها علميا، كما تحدث عن علم الأغذية والطب.. ونكتفى بذكر بعض هذه الحقائق:

«مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان».

هذه الظاهرة لم يعرفها الناس من قديم الزمان، وهي انه إذا التقى نهران في ممر مائي واحد فماء أحدهما لا يذوب في ماء الآخر. ثم ضرب مثلا شاهده بنفسه يقول: لقد شاهدت عند ملتقى نهر الكنج والجامونا (في مدينة الله آباد) أن النهرين على الرغم من التقائهما لم تختلط مياههما.. ويقول ان العلم الحديث فسر هذه الظاهرة بقانون (المط السطحي) وهو يفصل بين السطحين، لأن تجاذب الجزيئات يختلف من سائل لآخر..

وينتقل بنا إلى علم الأغذية فيذكر لنا السبب في تحريم القرآن لأكل الدم ولحم الخنزير.. فيقول، إن الدم يحتوى على كمية كبيرة من (حمض البوليك) وهو مادة سامة.. ولذلك أمرنا القرآن بأن نذبح الحيوان ليسيل دمه، ولا يتجمد هذا الدم في العروق، وحذرنا الكاتب من أكل لحم الحيوان الذى يقتل بالصدمة لأن الدم لايسيل من عروقه..

وبالنسبة للحم الخنزير، قال إن لحم الخنزير يحتوى على كمية كبيرة من (حمض البوليك) وأنه لا يقرن هذه الكمية إلا بنسبة

كيسف نثبت نبوة محمد

٢٪ فقط، في حين أن الحيوانات الأخرى تفرزها بنسبة ٩٠٪ عن طريق الكليتين.. ويقول أن اختزان هذه الكمية في لحم الخنزير هي مصدر الضرر، إنها تتسبب في آلام المفاصل بالنسبة للإنسان، وحتى الخنزير نفسه يتألم من هذا المرض.. «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق».

الدين والحضارة :

إن المؤلف رجل واسع الثقافة، متعدد الدراسات، ولذلك فقد قام بمسح كبير للجوانب التي تمس موضوعه، وحرص على أن يلتقي مع خصوم الإسلام في جميع الميادين، فهزمهم فيها مستعينا بالعلم..

ولقد سجل في آخر كتابه معاركه مع بعض المشرعين المعاصرين، كما سجل معارك مع دعاة التحلل.. ولكنه لم يظل في هذه المعارك ولذلك سنكتفي بمشاهدة ملاحمه عن بعد..

تحدث المؤلف عن التشريعات المعاصرة وواجهها بقسالتها مستعينا عليها بالواقع الذي انتهت إليه وهي أنها عجزت عن تحقيق العدالة، كما استعان عليها بأقلام المشرعين أنفسهم.. ثم اقترح عليهم الحلول الجذرية.

لقد وقع خلاف قديم وحديث في مفهوم القانون، ثم وقع خلاف في الغاية من القانون.. حتى أن (فولر) وضع كتاباً أسماه (القانون يبحث عن نفسه).

ولقد اشتط البعض في تعريف القانون حتى ذهب (جوناستين) إلى القول بأن (القانون هو الحكم الذي أصدره رجل رفيع المنزلة سياسياً لمن هو أدنى منه في المرتبة السياسية).

ولقد اختلف رجال القانون ولايزالون يختلفون حول من له الحق في وضع القوانين.. أهو الحاكم الفرد الذي يهب الدستور

كيف نثبت نبوة محمد

للشعب.. أهو الشعب الذى يمنح نفسه هذا الحق بطريق مباشر ،
أهو البرلمان ممثل الشعب الذى يصوغ الدستور والقوانين ؟؟
وهو يحمل بشدة على أسلوب الحكم الفرد، والأسلوب العام أى
الجماهيرى، ثم يأتى إلى الأسلوب المؤلف وهو البرلمان فيقول : إنه
لم يمثل الشعب بالكامل فى أى مجلس نيابى، وإنما يمثل بأغلبية
وهذا هو المتبع فى الدول الديمقراطية . أما فى الدول الشيوعية
فإن الزعماء يفوزون بالأغلبية الساحقة.

إذن فشل الأسلوب الديمقراطي والأسلوب الشيوعى فى تمثيل
الشعب واضع القوانين !!

وعلى فرض أن الشعب مثل تمثيلاً صحيحاً، فعلى أى هدى
ببصوغ هذا الشعب القوانين التى تحقق العدل ؟!

ثم إن هناك مشكلة لها خطورتها وهى أن التشريعات الوضعية
خاضعة للتغيير والتبديل من زمان لزمان، ومن مكان لمكان، حتى
قال (كوهلير) ليس هناك دستور أبدي ، وأى تشريع لعصر
ما ليس بالضرورة صالحاً لعصر آخر .

ويكتفى الرجل بالرد عليهم بحكمة قالها الدكتور (فرويدمان)
: يتضح بعد دراسة هذه الجهود المختلفة أنه لا بد من هداية لتقييم
المعيار الحقيقى للعدل، والأساس الذى يحمله الدين لإعطاء العدل
صورة عملية ينفرد بها فى حقيقته وبساطته .

ثم ينتهى بنا الأستاذ إلى هذه الحقيقة : إن مصدر التشريع هو
الله وحده ، خالق الأرض والكون ، فالذى أحكم قوانين الطبيعة هو
وحده الذى يليق أن يضع دستور حضارة الإنسان ومعيشته ،
وليس هناك من أحد غيره سبحانه .

وتحدث الرجل على عجل عن العلاقة بين الرجال والنساء فقال :
إن الإسلام يحرم العلاقات بينهما إلا أن يكون ذلك عن طريق

كيف ثبت نبوة محمد

الزواج .. واستشهد بمقالة كتبها طيبة (ماريون هيلارد) ضد الاختلاط قالت : إننى لا أستطيع أن أسلم كطبيبة أن العلاقات الطاهرة ممكنة بين الرجل والمرأة ، ينفردان برضاها وقتا طويلا . ثم طرح أمامنا احصائية نشرتها هيئة الأمم عن النتائج غير المشروع للعلاقات الجنسية الحرام ، فقال :

لقد ارتفعت نسبة الأولاد غير الشرعيين إلى ٦٠٪ ووصلت إلى ٩٠٪ فى بلما .. وتكاد هذه النسبة أن تنعدم فى الدول الإسلامية . وليس الكاتب على عجل المشكلة الاقتصادية المعاصرة ، وتوجه بالنقد للذين حرموا الملكية الفردية ، وأطوا محلها الملكية الجماعية ، ظنا منهم أنها أكثر عدلا ، وأنها تحقق المصلحة العامة وتضاعف الإنتاج .. ثم تناولوا على الدين متهمين إياه بأنه ضد مصلحة الشعوب ، لأنه يؤمن بالملكية الفردية .

وبأسلوبه المققن وضع أمامنا هذه الحقيقة .

قال إنه فى روسيا توجد مزارع جماعية ، ومزارع فردية ، وقد أثبتت التجارب أن المزارع الجماعية تحقق عائدا لا يصل إلى نصف ما تحققه المزارع الفردية المماثلة .. فمثلا كان ناتج الفدان - عام ١٩٦٠ - فى المزارع الجماعية سبعة أطنان من البطاطس فى حين كان ناتج الفدان فى المزارع الفردية - أحد عشر طنا - وكانت نتيجة الزراعة الجماعية فى روسيا أنها كانت من الدول المصدرة للقمح فى عهد القصرية ، فصارت دولة مستوردة للقمح .

ثم انتهى إلى أن الملكية الفردية التى يأخذ بها الدين يمكن أن تحقق العدالة بين الناس ، وتحقق التنافس المشروع بينهم .

وينتهى بنا المؤلف إلى أن الدين بإمكانه أن يحل كل المشاكل التى يعانى منها الإنسان .. ويصوغ هذا المعنى بأسلوبه الرفيع .. فيقول : إن الإيمان بالله يعطى الإنسان محركا هو أساس سائر

كيف نثبت نبوة محمد

الأخلاق الطيبة ، ومصدر قوة العقيدة ، العقيدة التى عبر عنها (السير ويليام أوسلر) بقوله : (إنها قوة محرّكة عظيمة ، لا توازن بأى ميزان ، ولا يمكن تجربتها فى المعامل) ، إن هذه العقيدة هى سر مخزن الصّحة النفسية الموفّرة، التى يتمتع بها أصحابها ، وأية نفسية محرومة من هذه العقيدة لن تنتهى إلا بالمرض.

ثم يصف كاتبنا متاعب الناس ويصورها بقلم يقطر ألماً وحزناً :
(لقد تدمر الإنسان تدميراً شديداً ، الأجسام تحت الأثواب البراقة أحوج ما تكون إلى الهدوء والسعادة الحقيقيين ، والأبنية الفخمة تسكنها قلوب محطمة ، والمدن المتلألئة ببريق الحضارة هى بؤر الجرائم ، والحكومات الجبارة مصابة بالدسائس الداخلية وعدم الثقة، والمشروعات الضخمة تبوء بالفشل نتيجة للخيانة ، وكل هذا يرجع إلى حرمان الإنسان من نعمة الإيمان بالله !!!

واستشهد على كلامه بما قاله العالم النفسى (البروفيسور يانج) قال : لقد طلب منى أناس كثيرون مشورة لأمرضهم النفسية ، ولم تكن مشكلة هؤلاء إلا الحرمان من العقيدة الدينية .

واختتم كتابه القيم (الإسلام يتحدى) بحكمة بالغة قالها البروفيسور (كريسي موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بأمريكا : إن الاحتشام والاحترام والسخاء وعظمة الأخلاق ، والقيم والمشاعر السامية وكل ما يمكن اعتباره (نفحات إلهية) لا يمكن الحصول عليها عن طريق الإلحاد :

(فالإلحاد نوع من الأنانية ، حيث يجلس الإنسان على كرسي الله) .

(لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين) .
(وسوف يتحول النظام إلى فوضى) .

كيف نثبت نبوة محمد

(وسوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتمسك) .
(وسوف يتفشى الشر في كل مكان) .
(إنها لحاجة ملحة أن نقوى من صلتنا وعلاقتنا بالله) .
من القضايا المحيرة التي تشغل بال الجميع .
هل توجد خصومة حقيقية بين الديانات السماوية .
وهل هذه الخصومة تعزى إلى أصحاب هذه الديانات ؟
هذه الأسئلة المحيرة سنجيب عليها ، ولكن بأسلوب يبتعد بنا
عن الجدل والمراء .
سنجيب عليها من خلال لقاء تاريخى تم بين ميلاد سيدنا
المسيح وميلاد سيدنا محمد عليهما السلام .

اللقاء بين محمد والمسيح

من حسن طالع الإنسانية اللقاء ميلاد السيدين
العظيمين : محمد والمسيح عليهما السلام .. ولدت
الإنسانية تتخذ من هذه المناسبة الجليلة وسيلة لإشاعة
الحب والعدل والإخاء بين البشر ، لأن الدين الذي دعا إليه
محمد والمسيح وكل الأنبياء دين واحد ، فقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « إنا معشر الأنبياء ديننا
واحد ، وأنا أولى الناس بابن مريم ، لأنه ليس بيني وبينه
نبي » .

وبنفس الإحساس بوحدة العقيدة ، قال المسيح عليه
السلام قبل ستة قرون من ميلاد محمد صلى الله عليه
وسلم : « وإن قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني
رسول الله إليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا
برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » .

إن لكل من ميلاد المسيح ومحمد قصة .. وقصتهما
تدعو للإيمان بالله وبهما .. فما قصة ميلادهما ؟

■ قضايا حائرة .. ومحيرة ■



اللقاء بين محمد والمسيح

موسى يبشرنا بالمسيح :

جاء في إنجيل يوحنا : أن نثناتيل عجب حين قال
له صاحبه « إنا وجدنا الذى أنبأنا عنه موسى ، وأنه
من الناصرة فى الجليل » .
وعلى الرغم من ورود هذه البشرى عن رسول
بنى إسرائيل إلا أنهم جابھوها بالتكذيب فقالوا :
« آمن الناصرة يجيء شيء صالح » .
ولكن النبوءة تصدق وتشرق الناصرة بنور المسيح عليه
السلام ، فتعم أرض فلسطين وما حولها .
ويهزم التآمر اليهودى من أول يوم .. كما يهزم صولجان
الرومان فى فلسطين .. ويستتب الأمن فى البلاد التى لم تكف عن
الثورات .. ويشيع الحب والتراحم بين الناس ، وتمسح يد المسيح

اللقاء بين محمد والمسيح

على أدواء الناس وأوجاعهم ، فيشفاهم الله .. كل هذا يتم خلال فترة لا تزيد على ثلاثة أعوام ، فما أروعها من معجزة .
كان لابد من مقدمات لنتهاء البشرية لتقبل ميلاد طفل دون أب لأنها معجزة خارقة للعادة ، وحتى تتقبل البشرية هذه المعجزة ، قدمت لها معجزة أخص منها ، وكانت قصة ميلاد السيدة مريم العذراء التي ولدت من شيخين كبيرين ، ثم اختار الله لها ، وأكرامها بنزول الملائكة عليها : « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، ثم تنزل الملائكة بعد ذلك لتبشرها بأنها ستحمل في بطنها بالمسيح وتصف لها ابنها قبل أن يولد « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » .

ثم تكون المعجزات المادية المحسوسة لتؤكد لمريم أنها ليست فتاة عادية كفرها من البشر .. فقد تكفلت السماء بأطعامها للتفرغ لعبادتها ولخدمة المسجد .

ويدخل عليها النبي الوقور ، زوج خالتها سيدنا زكريا فيعجب لحالها ، وهي تأكل من طعام طيب غير مألوف لديه ، ويسألها عن مصدر هذا الطعام ، فتقول : « قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

وينبهر النبي بالمعجزة الماثلة أمامه ، فيعجل بالضراعة إلى الله ليحقق له معجزة كان يصبو إليها ويرزقه بآبٍ يخلفه في أداء الرسالة ويؤنس به وحدته ، ويعينه في أمره بعد أن تجاوز التسعين من عمره « هنالك دعا زكريا ربه ، قال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » .. وتستجاب الدعوة ، وتحمل الملائكة البشرى لزكريا : « فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في

اللقاء بين محمد والمسيح

المحراب، إن الله يبشرك بيحيى ، مصدقا بكلمة من الله ، وسيدا وحصورا ، ونبيا من الصالحين » . وتتحقق المعجزة وتحمل زوجة زكريا بيحيى .

وتحمل مريم بالمسيح .

وتعجب مريم وزوجة زكريا لظاهرة عجيبة ، وهى أن يحيى كان يسجد إكراما للمسيح وهما لا يزالان فى بطن أميهما .

ويلاحظ يوسف النجار والذى كان يلازم مريم فى المسجد ويتعبد معها ويساعدها فى خدمة بيت الله ، يلاحظ آثار الحمل على العذراء ، فيسألها فى حياء : إنه قد وقع فى نفسى من أمرك شئ ، وقد حرصت على أن أكتمه ، وقد غلبنى ذلك ورأيت أن الكلام أشفى لنفسى .

قالت له : قل قولاً جميلاً ..

قال : أخبرينى يا مريم ، هل نبت زرع بغير بذر ؟

قالت : نعم .

قال : فهل نبتت شجرة بغير غيث ؟

قالت : نعم .

قال : فهل يكون ولد بغير ذكر ؟

قال : العذراء الطاهرة : ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ؟ والبذر إنما يكون من الزرع الذى أنبته من غير بذر ، ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث ، وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعدما خلق الله كل واحدة منها على حدة ؟ أو تقول أن الله لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ؟

أجابها يوسف : لا أقول هذا ، ولكنى أقول أن الله تعالى يقدر على ما يشاء ، يقول للشئ كن فيكون .

اللقاء بين محمّد والمسيح

فقال له مريم : ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى ؟

فقال يوسف : بلى يا مريم .

وآمن يوسف أنه أمام معجزة باهرة ، لا تخضع لنواميس الكون العادية ، فعزم على أن يقف إلى جوارها ويقوم على خدمتها ، ويدافع عنها ، ويصاحبها في كل أسفارها .

المعجزة الكبرى :

وتمت المعجزة الكبرى بميلاد المسيح في بيت لحم ، تمت تحت شجرة نخل يابسة ، قبل شروق الشمس بقليل ، وكانت الولادة يسيرة سهلة ، ولم يكن مع مريم طعام ولا شراب ، وإذا بهاتف يأتياها من السماء « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » .. فتمد يديها الواهنتين وتهز الشجرة اليابسة ليتساقط منها رطب طيب ، ولا تجد عناء في الشرب قد جرى نهر صغير عذب الماء تحت أقدامها « ... قد جعل ربك تحتك سرياً » .
وتحمل الطاهرة وليدها ، وتتجه إلى الناصرة ببلدتها ، فتقابل بمظاهر الاحتجاج والاستنكار من قومها ويهتفون بها « لقد جئت شيئاً فرياً » .. ويذكرونها بأنها ابنة لرجل صالح ، وأنهم لم يكونوا يتوقعون منها أن تأتي بهذا الإثم .. ولما كانت العذراء قد نذرت ألا تكلم الناس ثلاثة أيام فقد اكتفت بالإشارة إلى وليدها .
وهنا نطقت المعجزة بكلمة الحق : « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ، وجعلني مباركاً أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » .
انبهر القوم بهذه المعجزة الخارقة وتأكد لهم طهارة العذراء وصدقها .

اللقاء بين محمد والمسيح

ومضت المعجزة على يد المسيح ، تؤكد صدقه وصدق رسالته ، فكان ينبيء الناس بما يأكلون وبما يدخرون في بيوتهم ، وكانت يده الطاهرة تمسح على المريض فيشفى ويدعو للأعمى فيبصر وللأموات فينهضون واقفين .. ويؤكد لقومه أن كل هذه المعجزات من الله خالق كل شىء .

ويسجل التاريخ انتصارات السيد المسيح على كل خصوم دعوته، ينتصر عليهم بالحكمة والصبر والثبات .
وكما بشر موسى عليه السلام بميلاد المسيح ، بشرنا المسيح بميلاد محمد عليه السلام .: « ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

ابن الذبيحين :

وبعد ستة قرون من ميلاد المسيح .تتهيا الأرض لاستقبال (ابن الذبيحين) محمد صلى الله عليه وسلم .. وهذه التسمية أطلقها الرسول على نفسه فقال (أنا ابن الذبيحين) ويعنى بهذا انه من نسل اسماعيل الذى أمر أبوه ابراهيم بذبحه ولكن الله فداه بذبح عظيم .

أما الذبيح الثانى فهو أبوه عبدالله ، والذى كان سيدبّح ضحية نذر قطعة جده عبد المطلب على نفسه تقربا الى الالهة إذا رزقه الله بعشرة أولاد أن يذبح احدهم .. وشاءت ارادة الله ان ينجيه من الذبح ليخرج من صلبه النفحة الربانية المباركة .

ونجت البشرية بنجاة الذبيحين ليكون منهما رحمة للعالمين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . وكما كتب الله لرسوله الحياة بنجاة الذبيحين ، كتب الله للمسجد الحرام ومكة النجاة من غزو خارجى مدمر ، فقد جاءها ابرهة بجيش مزود بأحدث الأسلحة وبأكبر الفيلة ، فسلط الله عليه وعلى جيشه قوة من الطير المزودة

اللقاء بين محمد والمسيح

بحجارة نارية قاتلة ، فنجت الكعبة ونجت مكة ونجا قوم النبی ،
وفي هذا العام (عام النجاة) ولد محمد .

وماذا حدث في العالم ساعة ولادته ؟

في الساعة التي ولد فيها محمد تشقق بناء أكبر عرش على
الأرض ، وهو عرش كسرى ملك فارس ، وانهار أربعة عشر ركنا
من أركان قصره الشهير ، كما خمدت نار الفرس المقدسة التي
ظلت مشتعلة لأكثر من ألف عام ، وعجز سدنتها من إشعالها ، وفي
نفس الوقت شوهد شعاع نوراني يخرج من مكة ساعة ولادة
محمد فيضىء قصور بصرى .

كيف تمت الخطبة :

خرج عبدالمطلب من بيته بصحبة أحب ابنائه اليه ، ومضى في
طرق مكة قاصدا بيت صديقه وهب بن عبدمناف ، ليخطب منه
أمنة لابنه عبدالله ..

وفجأة تعترض طريقهما امرأة تدعى (قتيلة) ودون مقدمات
تهمس في أذن عبدالله : أين تذهب في ساعتك هذه ؟

قال عبدالله وهو يبتعد عن المرأة : هناك الى حيث يقودنى أبى .
وبجراحة بالغة ، وبدون حياء قالت له : قف واسمع ، إنى أهبك
مائة من الإبل ، وهى التى وجب على أبيك التضحية بها لانقاذ
حياتك ، إذا قبلت ان تكون لى الساعة ؟

تراجع عبدالله مذعورا : وقد أذهلته جراءة المرأة ، فلما رآها تقف
منه فى تحد قال لها : إنى فى صحبة أبى الذى لا يستطيع مفارقتة .
ومضى الشاب يجد فى السير خلف أبيه الذى قاده الى بيت
خطيبته ، وتمت اجراءات الخطبة فى بساطة ، كما تم الزواج فى بيت
عمه أبى طالب ، حيث قضى ثلاثة أيام مع زوجته ..

ثم خرج من بيت الزوجية ولقى (قتيلة) على ناصية الطريق

القضاء بين محمد والمسيح

وقد تغير لونها وظهر عليها الغضب وبادرت به سؤال غريب فقالت له : من أنت ؟

قال : أنا عبدالله بن عبدالمطلب ..

قالت : أنت ذاك الذى كان جبينه يلوح لى تحت إكليل من النور ، وقد اختفى الآن منه ، ما الذى حدث بعد ان تلاقينا ؟ -

فقص عليها عبدالله خبر زواجه من أمنة ، حتى اذا انتهت من روايته قالت له وهى تودعه : والله ما أخطأت فيما كان منى ، لقد كشفت على جبينك نورا ، ورغبت ان امتلكه ، ولكنه الآن أصبح فى حيازة امرأة أخرى ستلد أفضل الخلائق ، ولم يبق فيك الآن ما يجذبنى نحوك ..

وانصرفت المرأة حزينة كسيرة النفس ، لأنها كانت تطمع أن تكون أم النبی ، الذى أخبرها عنه أخوها ورقة بن نوفل ، فقد حدثها ان نبيا سيولد فى هذه الأرض ، وان والده يعرف بنور يتلألا فى جبينه بمثل لآلة الماس أو النجوم ، وقد تجلت لها هذه الأوصاف فى عبدالله .. فاشتدت فى البحث عنه لتكون له زوجة لأنه لم يعرف عنها السوء أو الانحراف .

وتنتهى قصة قتيلة ويطويها الزمن ، لتبدأ قصة أخرى يشهدها بيت أبى طالب حيث تم الزواج بين عبدالله وأمنة . ثم تشرق الأرض بنور محمد .

أم محمد تحدثنا عن وليدها :

وأما عن حملها وميلاده فينسب الى أمه أمنة أنها قالت : منذ اليوم الأول الذى حملت فيه ولدى حتى الساعة التى وضعت فيها لم أشعر بأى ألم ، وإنى حتى لم أشعر بمجرد ثقل ، بل ما شعرت انى حملت به حتى أتانى آت ، وأنا بين المنام واليقظة فقال : انك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، اعلمى ذلك .. وفى نفس اللحظة

القصاء بين محمد والمسيح

خرج من أحشائي خيط من النور وترامى ناحية المشرق حتى بلغ أرض الشام ، وعندما دنا موعد ولادتي ظهر لى الملك من جديد وأوصانى قائلا : عندما تضعين ولدك قولى (أعيدته بالواحد الصمد من شر الحاسدين وسميه محمدا فهذا هو الاسم الذى بشر به فى التوراة والانجيل لأنه سوف يحمد من جميع سكان السماء والأرض) .

وقبل طلوع شمس يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول (عام ٥٨٠ ميلادية) ولد الهدى فاستضاءت به السماوات والأرض ، وأشرقت به قلوب وعقول الانسانية كلها .

وتمضى المعجزات مع الوليد تسجل بصماتها فى كل مكان يرده ، وتحدثنا مرضعته حليلة عن طرف من طفولة محمد ، وتقول : (ما إن قدمنا منازلنا فى بنى سعد ، وما أعلم أرضا من أراضى الله هى أجذب منها ، فكانت غنمى تروح شباعا لبانا فنحلب ونشرب ، وما يحلب انسان قطرة لبن ، حتى كان قومنا يقولون لرعاتهم ، ويلكم أيها الحمقى اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ، وكان النبات يتزعزع لمقدم أغنامى ، ثم يذبل عقب مرورهم به ..) .

وتروى لنا حليلة قصة شق صدر النبى وكان فى الرابعة من عمره ، والتى قصها أخوة فى الرضاع ، ومؤداها ان شخصين كانا يلبسان ثيابا بيضاء اخذاه وشقبا صدره ، وأخرجنا منه شيئا أسود ، ثم أعاده لحالته الأولى ، ثم اختفيا ..

حديث الراهب بحيرا :

ويشب محمد ويسافر الى أرض الشام ، وتمضى القافلة قبالة جبل حوران حيث يقيم الراهب بحيرا ، ويذهل الراهب وهو يشاهد سحابة أبيض يغطى صفحة السماء ، ويظلل إحدى قوافل التجارة

اللقاء بين محمد والمسيح

القادمة من بلاد العرب ، وتتوقف القافلة لتستظل بشجرة كبيرة ، فيتقدم منها بحيرا يدعو أصحابها لتناول الطعام معه ، فيذهب القوم بإستثناء محمد ، فيسألهم بحيرا عن سبب تخلفه فيتعلمون بحدثة سنة ، ولكن بحيرا يصر على دعوته ، ويحضر الشاب ويجلسه أمامه يتأمله طويلا ويسأله كثيرا ، ويتمكن من خلال مناقشته له وتفحصه من اكتشاف (خاتم النبوة) .. ثم يوصي عمه قائلا له : (ارجع بابن اخيك الى بلده ، وأحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه ، عرفوا منه ما عرفت لبيغونه شرا ، فإنه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم .

وكانت المعجزة الخالدة :

وتبدأ خيوط المعجزة الخالدة في الكهف حيث كان محمد يخلو نفسه ليتأمل ويتعبد ، وتسجل أول آية على قلبه ، اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ..

ويحمل المعجزة بكل ثقلها قرابة ربع قرن .. يصلي بها ويصوم بها ويزكى بها ويقا تل بها الى ان يسجل النصر المبين . ويحقق محمد بمعجزته أضخم المعجزات..

الرجال الذين ربا هم على يديه وصاروا معجزات بشرية ، فليس كمثله أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، والقرية التى نشأ فيها صارت عاصمة اسلامية يحج اليها والى المسجد القائم بها ملايين البشر من كل فج عميق .

والعلم الذى تركه استنفارت الانسانية به أكثر من أربعة عشر قرنا ، والأمة التى بناها لم يهتز صرحها على الرغم من معاول الهدم المسلطة عليها .

والخلق الذى وضع أساسه ، كان ولا يزال أصلب قاعدة

اللقاء بين محمد والمسيح

للسلوك الانساني الحميد ، والعدل الذي أقامه حفظ على الناس
أرواحهم وأموالهم وأعراضهم .

والأسرة التي جمع شملها صارت أقوى لبنة في بناء المجتمع ..
والقوانين والنظم التي لا تزال المصدر الحي النابض لكل القوانين
التي تتشد الحق والعدل .

وأعظم معجزاته المعجزة الخالدة ، إنها ستظل باقية ما بقيت
أنفاس الانسانية في الأرض ، « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له
لحافظون ».

وأعظم معجزاته انه لا نبي ولا رسول بعده .
ولقد ودع رسول الله العالم بعد أن أودع في عنقه قول الله : «
اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم
الاسلام ديناً ».

وأخيراً ..

وأخيراً لم لا نلجأ لمن أوصانا ربنا ان نلجأ اليه اذا التبتست
علينا الأمور ، واستبدت بنا الحيرة ، ونسأله ان يفيض علينا من
الحكمة التي أفاضها الله عليه : « لقد من الله على المؤمنين اذا بعث
فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم
الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » صدق الله
العظيم .. لم لا نلجأ اليه ونلتمس منه الحكمة ، لنتهدى بها في
حياتنا ..

ولتكن حكمة الرسول هي خير ما نختم به هذا الكتاب والله
ولي التوفيق .

بالحكمة انتصر محمد



نظر محمد حوله فإذا به في مواجهة شعب مشنت ،
لاتحكمه رابطة ، ولا تمسكه عقيدة ، ولا تضبطه حكومة ،
ولا يسوسه فكر .

شعب يقتل الأب فيه طفله خشية الجوع والحاجة .
شعب يقتل الأب ابنته وهي في المهد خشية عار يتوهمه .
شعب يقتل فيه الرجال طمعا في المال .

وتسبى النساء للاستمتاع بهن شعب تقوم تجارته على
بيع الرجال وبيع وشراء أعراض النساء ، أو وراثتهن عن
الآباء .

شعب يسكن بيوتا مزودة بجرار الخمر ، ويتمائيل
الآلهة وبأدوات القمار ، وقداح الحظ .

شعب لا يعرف عن الحضارة شيئا .. فهو على الرغم
من وقوعه بين ثلاث حضارات ، حضارة الروم في الشمال ،
واليمن في الجنوب ، والفرس عن شماله إلا أنه كان متخلفا
عمرانيا وفكريا .

شعب ورث عبادة الآباء والأجداد يتفاخر بهم ويتعبد
بذكراهم .

■ قضايا حائرة .. ومحيرة ■



بالحكمة انتصر محمد

إلى هذا الشعب ، وإلى الشعوب من حوله ، والتي كانت تعيش في ضلالات متقاربة ، وإلى شعوب لم ترها عين محمد ، أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. أرسله لذلك الشعب ، ولمن حوله من أبناء القرن السادس ، ثم لكل القرون .. ومنها قرننا .. وقرننا فيه العرب ، والغرب ، والشرق الأوسط والأقصى .. أرسله إلى آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا .. أرسله لكل ناطق بالعربية والانجليزية والفرنسية والروسية .. ولغة الصين والهند لكل هؤلاء أرسل محمد ليكون لهم رحمة وهدى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .. فكيف خاطب محمد أبناء عصره والعصور التي لم يرها ؟
لقد خاطبهم بالحكمة .. والحكمة لغة تعلو على كل الألسن

بالحكمة .. انتصر محمد

واللغات لأنها لغة إنسانية تخاطب القلوب ، والمشاعر ، والعواطف ، وقد ألزمه ربه بها « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن .

بالحوار المقنع بدأ دعوته :

بعد ان تزود رسول الله بآيات الحكمة ، بدأ يمارسها عملا وهو يدعو الناس الى دينه الجديد .. طرق كل باب في مكة يدعو أهله للايمان بدعوته ، وغزا الأسواق .. وكان يحاور الكبار والصغار ، والنساء ، والسادة والعبيد .. وغير العرب .. وكان في حوارهم معهم رقيقا هينا ليننا سهل المدخل ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله .

ومع هذه الرقة والحكمة كان يقابل بالصد والاعراض ، فيأمره ربه بالمزيد من الصبر والمزيد من الحكمة « ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ».. ثم يقابل بالتحدى ، وتقديم له مطالب غريبة لاعجازه « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه .. كل هذه المطالب قصد بها التحدى والاعجاز ، ولكن النبی يقابلها بهدوء ، ودون انفعال ، ويتكفل ربه بالرد على هذا التحدى قل سبحانه ربى هل كنت إلا بشرا رسولا .

يواجه الرسول بآلاف الأقضية والتحديات فيتصدى لها بالحكمة مستعينا بالتاريخ ، أو بالقصاص أو بالأمثلة فيؤمن البعض فيأمره ربه ان يلتزمهم ويحتو عليهم « واخفض جناحك

بالحكمة .. انتصر محمد

لمن اتبعك من المؤمنين » ، ويعرض آخرون فيأمره بالمزيد من الصبر فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ثم يواجه بحرب الاشاعات والافتراءات .. يقال عنه انه مجنون ، وشاعر ، وساحر ، وصديق حميم للجن ، وكاهن .. فتأبى حكمته ان يرد بمثلها ويكتفى بتفنيد هذه الاشاعات والرد عليها ردا موضوعيا فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، ويشتم التكذيب فيقابل بالآناة والحكمة « وإن كذبوك فقل لي عمل ، ولكن عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا برئ مما تعملون .. وبدأت مرحلة جديدة من المواجهة تمثلت في إيذاء الكبار - أي كبار القوم - ومنهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتعذيب الصغار - أي المستضعفين من العبيد والاماء - فيحاول الرسول ان يصرفهم بالحكمة عن هذا الأسلوب اللاإنساني ، ولكنهم يصرون عليه بل ويتمادون فيه .. فماذا يفعل ؟ لم يكن بيده ان يدافع عن أصحابه ، ثم إن دينه يرفض مقابلة هذا الأسلوب الوحشي في التعامل مع الخصم بمثله ، فيلجأ الى ربه ليخفف عن أصحابه ، ويوصيهم بالصبر والاحتساب (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة) .

ويشتد العذاب وتشتد المطاردة ، فيأمر أصحابه بترك وطنهم واللجوء الى أرض تستظل بحاكم عادل ، فيهاجرون الى أرض الحبشة ، ويأبى الكفرة إلا ملاحقتهم عند النجاشي ، ليستثيروا نزعتهم النصرانية ضد الدين الجديد .. ولكن الرجل الحكيم يستمع لحجج الطرفين ثم ينتصر لأصحاب محمد ويمنحهم حق اللجوء السياسي ويطرد عتاة مكة ويردهم خائبين .. ويستمر العذاب ، ويأخذ العديد من الصور ، التجويع والعزل الاجتماعي ، والسجن .. ويقابل كل هذا بالصبر .. وهو في هذه الشدة والضائقة يأتيه جبريل وي طرح أمامه حلا عسكريا .. يقول له (لو شئت

بالحكمة .. انتصر محمد

اطبقت عليهم الأخشبين — الجبلين) فيكون جواب النبی غاية في الحكمة (لعل الله ان يجعل من اصلاهم من يعبد الله عز وجل) وبعد ان يبلغ مرحلة اليأس من قومه يأتيه هاتف السماء يدعوه لهجرة هذا المجتمع الفاسد الباغي ، الى مجتمع آخر يتسع قلبه للمعرفة ، ويصبو الى الايمان ..

وبعد ان كان محمد لا يسمع إلا صراخ المعبذين بمكة ترمى اليه هتاف الملين بالمدينة (ايها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع) ، ومع هذا الترحيب من معظم أهل المدينة ، كانت قلاع اليهود تدبر تأمرا ، وتستعين ببعض الموتورين من زعماء المدينة .. ويحاول الرسول جهده ان يتفاهم مع اليهود باعتبارهم أهل كتاب ، ولكنه لا يكسب منهم إلا القليل .. أما أهل المدينة الذين رفضوا الايمان به فلم يمدوا اليهم يده بالسوء ..

بل على العكس ظل يلاطفهم ويجاملهم حرصا على مودة من استضافوه من ذويهم .. وتكفيينا قصة عبدالله بن ابي نختارها من آلاف القصص كنموذج يؤكد مدى النجاح الذي حققه الرسول بحكمته وهو يعالج مشاكل قومه ، فعبدالله بن أبي كان مرشحا لملك المدينة في السنة التي قدم فيها الرسول اليها ، وكانوا يعدون له الخرز ليتوجوه بها ، فلما حل الرسول بالمدينة اسلم له أهلها القيادة ، فحقد عبدالله على الرسول وعلى كل من آمن به ، ولكنه لم يستطع ان يواجههم بالعداوة وأثر أسلوب الكيد والفساد والنفاق ، وقد بلغ كيده قمة الخطورة في غزوة بني المصطلق ، فقد أثار فتنة بين المهاجرين والأنصار كادت تؤدي بهم الى الاقتتال بالسلاح ، فاشتد غيظ عمر بن الخطاب منه واقترح على الرسول ان يرسل اليه بمن يقتله ، فقال له الرسول (فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه) ..

بالحكمة .. انتصر محمد

وترامى الى ابن عبدالله ابن ابي وكان من المؤمنين ما أشار به الصحابة من قتل ابيه ، فذهب الى الرسول وقال له (إنه بلغنى انك تريد قتل أبى ، فإن كنت لابد فاعلا فأمر لى فأنا أحمل اليك رأسه .. لأننى أخشى أن تأمر غيرى بقتله ، فلا تدعنى نفسى ان انظر الى قاتل ابي فأقتله ، فأكون قد قتلت مؤمنا بكافر فأدخل النار) فقال له الرسول (بل نترفق به ونحسن صحبته ، ما بقى معنا) .

وانتصر الرسول بحكمته على من كان سيملك المدينة ، ويحكى ان الرسول شاهد عبدالله ابن أبى وهو منكس الرأس ، فقال لعمر (كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلته يوم قلت لى : اقتله ، لأرغفت له أنف لو أمرتها اليوم لتقتله لقتلته) ، فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى . يمثل هذا الأسلوب الحكيم هزم الرسول من كان سيملك المدينة دون قتال وجمع شمل المسلمين حوله ، وألف بين قلوبهم .

وبالحكمة حرر الرسول العبيد :

لقد ووجه رسول الله وهو يعالج قضايا قومه، بصور بشعة من هذه القضايا منها قتل الأطفال خشية الجوع أو العار، فواجه هذه الجريمة بحسم وأعلن حربا ضارية عليها حتى سجل النصر فى هذه المعركة.. لكن تبقت قضايا كثيرة بالغة الخطورة استعان عليها بالصبر وبالحكمة.. فالاصنام التى كانت تملأ الكعبة، لم يهدمها بمعوله إلا بعد عشرين سنة من دعوته.. ولكنه هدمها فى نفوس المؤمنين بالدعوة إلى الإيمان بالله وعدم الاشرار به، كما هدم كياناتها فى نفوس المشركين، وأوهن من قدسيتها.. فلما عزم على أعمال معوله فيها تداعت إلى الأرض، وتداعى معها إيمان قومه بها . وكانت قضية العبيد والاماء معقدة غاية التعقيد، لأن العبيد والاماء كانوا بمثابة سلعة تباع وتشترى ،وكانت هذه التجارة تمثل

بالحكمة .. انتصر محمد

الدعامة الاقتصادية لمجتمع السادة، كان التفاضل بينهم بقدر ما يملك السيد من العبيد، وبقدر ما يستمتع بالجميلات من الاماء.. إنها مشكلة اقتصادية ومشكلة اجتماعية، فإذا واجهها الرسول بالشدة التي واجه بها قضية وأد البنات وقتل الأطفال، فإنه سيلقى مقاومة عنيفة، فلجأ لأسلوبه الحكيم، وهو التشجيع على عتق العبيد، أما بالنسبة إلى الإماء فناشد السادة بعدم اكراههن على البغاء، وهذا بناء على ما أوصى به ربه «ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا»..

وحتى ينجح في دعوته لتحرير هؤلاء الرقيق، استقطبهم لدينه، وضمهم لأصحابه، وساوى بينهم في كل شيء.. فبادر أصحابه بتحرير هؤلاء الرقيق، استقطبهم لدينه، وضمهم لأصحابه، وساوى بينهم في كل شيء..

فبادر أصحابه بتحرير عبيدهم، كما بادروا بتحرير الأرقاء الذين كانوا يسامون العذاب وذلك بشرائهم من سادتهم ثم إطلاق حريتهم..

ثم استحث المؤمنين على إطلاق حرية العبيد تقرباً إلى الله أو تكفيراً للذنوب.. وبذلك تمكن بحكمته من تطويق هذه المشكلة الاجتماعية بل أنه نصب من هؤلاء المحررين من تولى قيادة جيوشه، أو تفقيه الناس أصول الدين، أو الأذان.. وها نحن لا نذكر بلالا أو صهيبا أو سلمان الفارسي إلا بعد أن نقرن أسماءهم بالسيد.

وبالحكمة تحطمت جرار الخمر:

وبواجه الرسول بقضية غاية في التعقيد، وهى شرب الخمر، فقد كانت معظم بيوت أهل مكة والمدينة مزودة بجرار الخمر، وكانت بارة الخمر من اروج التجارات.. فماذا يفعل الرسول.. كانت أولى

بالحكمة .. انتصر محمد

خطواته نصيحة أصحابه بعدم شرب الخمر مبينا لهم أضرارها النفسية والصحية..^{١١}

ومع هذا فإن بعض حديثي الاسلام لم يكفوا عن تناولها.. وتصادف أن قام بعض هؤلاء للصلاة فأخطأوا في قراءة القرآن، فنزل على الفور تحذير من السماء بنهى المسلمين عن الصلاة وهم في حالة سكر.. «لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» ومع هذا لم يكف الناس عن شرب الخمر باستثناء المؤمنين، ويواصل الرسول دعوته للكف عن شربها، واستهجان شاربيها، ثم تأتي البشرى بالتحريم عندما يبدأ في تشكيل أول دولة اسلامية» إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه « تأتي حيثيات هذا التحريم في نفس الآية إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون.. ويهتف المسلمون بالاستجابة، انتهينا يارب.. أما عقوبة شرب الخمر فتأتى بعد ذلك بتشريع من رسول الله، وتشريع الرسول مكمل لتشريع الله، ما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا.

بمثل هذا الاسلوب الحكيم اختفت الخمر، وتاب السكارى، وتطهر الشعب.

وبالحكمة اشتبش الزنا :

وماذا يفعل في قضية الفرائض الجنسية، والتي كانت تمارس سرا وعلانية.. بل كانت تجارة معترفا بها، وانكى من هذا أن بعض سادة العرب كانوا يكرهون الإماء على ممارسة الجنس مقابل أجر.. وأشهر هؤلاء السادة المنافق عبدالله بن أبى.. ومن المشاهد التي كانت تثير التقزز والنفور أن بعض النساء كن يطفن حول

بالحكمة .. انتصر محمد

الكعبة عريا وينشدون شعرا ماجنا .
لقد ظل الرسول يدعو الناس إلى نبذ الزنا، ويشجعهم على الزواج، وكان يوصى غير القادرين على الزواج بالصوم حتى يلجموا شهواتهم بالجوع (أيها الشباب، من استطاع منكم الباءة (أى المقدرة) فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أى وقاية) ..

ونادى فى النساء يدعوهم لتجنب الاختلاط بالرجال والتبذل فى الطرقات .. وكانت السماء تزوده بالنصائح الخالدة « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن » وباركت السماء كل من يستعفف عن الفحشاء ، ووعدتهم بالخير «وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله»، ثم نزلت آيات التشريع ووضعت عقوبات للزناة، وترك التطبيق للرسول، فعالج الأمر بمنتهى الحكمة ..

كان إذا جاءه الزناة معترفين يطلبون توقيع العقوبة على أنفسهم لايعجل بتوقيع العقوبة، ولكنه يراجعهم المرة والمرة حتى إذا أصروا قام بتنفيذ العقوبة عليهم.. ثم يترحم على من يقتل منهم.. بمثل هذا الأسلوب الحكيم قطع دابر جريمة الزنا ..

وبالحكمة عالج قضايا السياسة :

وبنفس الأسلوب الحكيم عالج قضايا السياسية.. كان مفوضا حكيما وسياسيا حكيما.. كان وهو يفاوض يستهدف الانتصار لدعوته وتجنب سفك دماء أنصاره أو خصومه.. كان ينادى فى الناس وهو طريد من الطوائف «من رجل يحمينى حتى أبلغ رسالة ربى» . ولكنه وقف بصلابة عندما جاءه زعماء قومه

بالحكمة .. انتصر محمد

يفاضونه ليتنازل عن دعوته في مقابل ملك مكة، أو أى مال يطلبه، قال لكبير المفاوضين وهو عمه « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».. وبعد أن خرج من مكة مهاجرا، واقام صرح دولته، عزم على العمرة إلى الكعبة، فانزعجت قريش، وتأهبت لمواجهة بالسلاح، ولكنه افهمهم أنه مسالم وليس مقاتلا .

وبدأت مفاوضات صلح الحديبية، وانتهت بعقد ميثاق ظاهره انتصار لأعدائه، أما باطنه فكان قمة الانتصار له ولدينه.. فقد ضمن بهذا الصلح الاعتراف الصريح منهم بدعوته، وضمن العودة معتمرا إلى مكة في العام التالي، وكسب مواقع جديدة في مكة ثبت بها أقدامه، ثم انه لم يسفك قطرة دم من أصحابه أو من أعدائه .

وبالحكمة انتصر وبالحكمة ننتصر :

أما في العلاقات الدولية فإنه لجأ إلى الحوار مع الدول الكبرى، فأرسل لقاداتها رسائل، ووفودا، ولم يرسل إليها جيوشا، ولقد تأثرت بعض هذه الدول بهذا الأسلوب الحكيم وبإدلتة بمثله.. صحيح أن هذه الدول لم تدخل دينه أثر هذه الرسائل، ولكنه أقام عليها الحجة، والزمها بالبرهان، فلما بدأ الفتح على أيدي خلفائه من بعده، وجدوا الطريق أمامهم ممهدا، وكفى برهانا على هذا أنه لم يمض ربع قرن إلا وهذه الدول العظمى قد دخلت في دين الله أفواجا.. ولم يشعر أبناء هذه الدول بأنهم خاضعون لاحتلال أجنبي يستوجب المقاومة .

لقد انتصر محمد بالسياسة الحكيمة على كل خصومه، بل انه اكتسبهم إلى جانبه، وصدق الله حين قال له «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم».

ولازمته الحكمة في ميادين القتال، فهو أولا يقف المعتدى

بالحكمة .. انتصر محمد

في جميع حروبه ، بل كان يدفع البغى والظلم، عن المؤمنين «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله»..، على هدى هذا التوجيه الرباني خاض رسول الله كل معاركه.. ومع انه كان يقاتل بشدة وبسالة، ولكنه بعد أن ينتصر كان يرفق بأعدائه فيمن على بعضهم، ويفدى البعض الآخر، «فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها».

وكان إذا استجار به ألد أعدائه أجاره ثم أسمع القرآن ونصحه بالتوبة، وقد أوصاه ربه «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه».

وبالحكمة خاطب العالم الخارجي :

ولقد ضرب المثل الأعلى يوم أن دخل مكة ظافرا فقال لمن كانوا من أشد الناس عداوة له «لاتثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء». بل انه جعل من بيت ألد الناس خصومة له مكانا آمنا، فقال «ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن» .

بهذا الأسلوب احتوى الناس برحمته وعطفه وحنانه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ».

بهذا الأسلوب الحكيم عالج رسول الله كل قضاياها، فانتصر بالحكمة وهو يعالج أمراض المجتمع ، وانتصر بالحكمة وهو يحاور خصومه بالسياسة، وانتصر بالحكمة وهو يشهر سيفه في وجه أعدائه، وانتصر بالحكمة وهو يضع أساس أعظم وأعدل دولة في التاريخ .

ويا ليت شبابنا يأخذون بحكمته وهم يعالجون أمراض مجتمعهم، ويا ليت حكامنا يسوسون شعوبهم بالحكمة فيفسحوا

بالحكمة .. انتصر محمد

صدورهم لغضب الشباب، حتى لا يشتط ويخرج عن سواء
السبيل .

وياليتنا نأخذ بحكمته في علاج قضايا أمتنا ونحن نواجه أعداءنا
وما أكثرهم، وياليت العالم كله يستهدي بحكمته فيعيش في سلام
وأمن وحب. «ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا، وما يذكر إلا
أولو الألباب» .

الفهرس

الصفحة

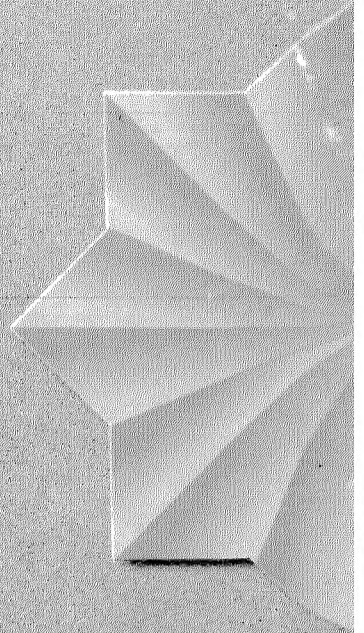
● المقدمة	٥
١ - من هو الإنسان ؟؟	٧
٢ - الإنسان بين حاضره وماضيه ؟ ؟	١٩
٣ - الإنسان حر أم عبد ؟؟	٢٩
٤ - الله والإنسان ..	٤١
٥ - الإنسان بين العذاب والرحمة !!	٥٣
٦ - هل خلقنا الله أم الطبيعة ؟	٦٧
٧ - كيف تثبت نبوة محمد ؟	٧٩
٨ - اللقاء بين محمد والمسيح	٩٣
٩ - بالحكمة انتصر محمد	١٠٥

رقم الإيداع ٩٦ / ٩٦٠٩

الترقيم الدولي I. S. B. N

977 - 08 - 0306 - 5

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم



طبعت بمطابع أخبار اليوم